فاضِل الجاف

أُغُسْت سْتْرِنْدْبِرْغ

دار نعمان للثقافة

www.naamanculture.com

فاضِل الجاف

أُغْسْت سْتْرِنْدْبِرْغ

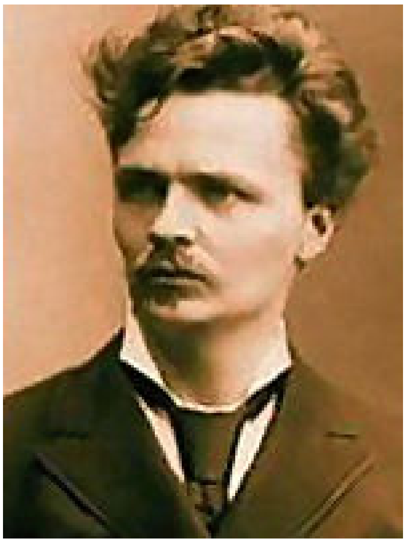

دار نعمان للثقافة

www.naamanculture.com

فاضِل الجاف

مُخرجٌ مسرحيٌّ وأستاذٌ جامعيّ، من مواليد عام 1951 (كركوك - العراق)، أسوجيُّ الجنسيَّة. تابعَ دراساته الجامعيَّة في بغداد وإسْتُكهُلْم وسان بِترسْبُرْغ ولندن؛ حائزٌ الدُّكتوراه في علوم المَسرَح والكفاءة في الإخراج المَسرحيّ. نالَ عامَ 2004، وعن عَمَله الحاضِر، جائزةَ ناجي نعمان الأدبيَّة (جائزة الاستِحقاق).

***

يَنْدَرِجُ هذا المؤلَّفُ في إطار سلسلة "الثَّقافة بالمَجَّان من دار نَعمان للثَّقافة" الَّتي أنشأها ناجي نعمان عام 1991، وما زالَ يُشرِفُ عليها.

***

فاضل الجاف، العراقيُّ المُتَأَسْوِج، يَنْقُلُ إلى العربيَّة، ههنا، ثلاثَ مَسرحيَّاتٍ لأحد عظماء المَسرح العالميّ، أُغُسْت سْتْرِنْدْبِرْغ. المَسرحيَّةُ الأولى، "البَجَعَة"، من ضمن ما عُرِفَ بـ "المَسرح الحميم"، قاسيَة، تَكشِفُ عن حُزن واضِعها العميق؛ فيما المسرحيَّةُ الثَّانية، "اللَّعِبُ بالنَّار"، تُمثِّلُ جوانِبَ من حياة سْتْرِنْدْبِرْغ نفسِه؛ وأمَّا المسرحيَّةُ الثَّالثةُ فمِن بطولةِ عَربيَّةٍ تَفتِكُ بروح ضابطٍ فرنسيّ، وإن بالغناء. وليس فاضل الجاف بغَريبٍ عن عالَم المَسرح، فهو مُخرجٌ مسرحيٌّ وأستاذٌ جامعيّ، تَنقَّلَ بين بغدادَ وإسْتُكهُلْم وسان بِترسْبُرْغ ولندن، دارِساً ومُدَرِّساً علومَ المَسرَح، بما فيها الإخراج.

ناجي نعمان

ألمقدِّمة

يجدُ القارئُ في هذا الكتاب ثلاثَ مسرحيَّات (البجعَة - اللَّعِب بالنَّار - السُّموم) ممَّا يُعرَفُ بمسرحيَّات الغرفة، وهو طرازٌ أبدعَ فيه المؤلِّفُ الأسوجيُّ الشَّهيرُ أُوغُسْت سْتْرِنْدْبِرْغ (1849-1912).

وقدِ ارتبطَ مفهومُ "مسرح الغرفة" في البداية بتجربة "المسرح الحَميم" Intima teatern الذي أسَّسَه سْتْرِنْدْبِرْغ عام 1907 متأثِّراً بتجربة المخرج الألمانيّ "ماكْسْ رِيْنْهَرْت" في ابتكاره هذا النَّوعَ من المسرح.

إنَّ مسرحيَّات الغرفة التي كتبَها سْتْرِنْدْبِرْغ منذ عام 1907 هي تحديداً مسرحيَّاتُه "العاصفة، سوناتا الشَّبَح، البجعَة، الأرض المحروقة". لكنَّ مفهومَ مسرحيَّات الغرفة تجاوزَ في ما بعد حدودَ تلك التي كُتبَت أساساً لـ "المسرح الحَميم"، ليشملَ جميعَ المسرحيَّات القصيرة ذات الفصل الواحد مثلَ "الآنسة جوليا، السّموم، الدَّائنون"...، والتي كتبَها سْتْرِنْدْبِرْغ قبلَ تأسيسه "المسرحَ الحميم".

ألبَجَعَة

كتبَ سْتْرِنْدْبِرْغ هذه المسرحيَّة عامَ 1907، بعد موت شقيقته آنا الذي سبَّبَ له حزناً عميقاً، وبعد افتراقه عن زوجته الثَّالثة. ومسرحيَّةُ البجعَة التي كتبَها المؤلّف خصِّيصاً لـ "المَسرح الحَميم" تُعتَبَرُ في حدٍّ ذاتها عودةً إلى أسلوب المسرح الطَّبيعيّ الذي كان سائداً في نهاية القرن التَّاسع عشر. إلاّ أنَّ طبيعة سْتْرِنْدْبِرْغ هنا تمتزجُ بالأجواء الحالِمَة والنَّبض الشَّاعريّ الذي ترجعُ جذورُه إلى أعماله الشَّهيرة كـ "لعبة حلم"، "سوناتا الشَّبح"، "رقصة الموت"...

إنَّ موضوعَ الفساد المتوارَث والشَّرّ المُتناقَل عبر الأجيال يعودُ بنا إلى طبيعيَّة "إبسن" في "الأشباح" و"البطَّة البرِّيَّة"، لكنَّ "البجعَة"، وإن بدَت أقلَّ عمقاً من "الأشباح"، إلاَّ أنَّها أكثر شاعريَّةً، وروحُها المَشوبَةُ بالموسيقى والإيقاع تُعطي المُخرجَ والمُمَثِّلَ مساحاتٍ واسعةً من الإبداع.

يكشفُ سْتْرِنْدْبِرْغ في "البَجَعَة" عن حزنٍ كبير، فالإحساسُ بالعَدَم يقفُ كنقيضٍ حاسمٍ للوجود المزيَّف، وللشَّر المُتَنَقّل، ولِلوثة الإنسان الكامِنَـة في الأعماق، إذ يقولُ في إحدى رسائله: "لقد كتبتُ هذه المَسرحيَّة على الرُّغم منِّي، وتمنَّيتُ أن أُضرمَ النَّارَ فيها أثناءَ كتابتي لها، أن أرميَها... لكنَّها عادت تلاحقُني مرَّةً ثانية. وحتَّى عندما أشاهدُها في كلِّ أمسيةٍ من أمسِيات العرض، وهي تُمثَّلُ على المَسرح، كنتُ أتعذَّبُ كثيراً. ولكن، وعلى الرُّغم من ذلك، لم أشعرْ بالنَّدم عليها أو على كتابتها".

عُرِضَت مسرحيَّةُ "البَجَعَة" لأوَّل مرَّة عامَ 1907 بمناسبة افتتاح "المَسرح الحَميم"، وقد فشلت فشلاً ذريعاً، إذ هاجمَها النقَّادُ في شدَّة. وجاءَ تقديمُ ماكْسْ رِيْنْهَرْت لها، عامَ 1914، ضربةً مُذهِلَةً سُدِّدَت إلى النقَّاد الأسوجيِّين. وقد كتبَ أحدُهم، بعد عودته إلى بلاده من زيارة فرقة "مسرح الغرفة البرْلينيَّة"، أنَّ العَرضَ كان دَرساً للأسوجيِّين.

ألَلَّعِبُ بالنَّار

كتبَ سْتْرِنْدْبِرْغ هذه المَسرحيَّة بعد فشل العلاقة الزَّوجيَّة التي ربطَته بـ "سيري فون أيسِن" عام 1892. وفيها جوانبُ كثيرةٌ من حياة المؤلّف حتَّى إنَّ شخصيَّة "أكسِل" تُمثِّلُ صوتَ الكاتِب إلى حدٍّ بعيد.

عُرِضَت مسرحيَّةُ "اللَّعِب بالنَّار" للمرَّة الأولى في برلين عام 1893. وأمَّا أوَّلُ عَرضٍ أسوجيٍّ لها فكان بعد خمسة عشر عاماً من كتابتها، فقد مُثِّلَت على "المَسرح الحَميم" عام 1908، ولم يكُنْ نصيبُها من النَّجاح بأحسنَ من نصيب "البجعَة"، ولم تحظَ سوى بثلاثة عشر عَرضاً على المَسرح المذكور. وقدَّمَ "المَسرح الحَميم" المسرحيَّة للمرَّة الثَّانية عام 1914، وبنجاحٍ باهِر، إذ نالَت إعجابَ الجمهور والنقَّاد معاً. وهي تُعرَضُ باستِمرار، منذ ذلك الحين، على المسارح الأسوجيَّة والأورُبِّيَّة.

ألسُّموم

كتبَ سْتْرِنْدْبِرْغ هذه المَسرحيَّة عام 1889 من ضمن المَسرحيَّات المَكتوبة خصِّيصاً لـ "مسرح التَّجريب الإسكندنافي" في كوبنهاغِن حيث كانت زوجُه، سيري فون أيسِن، تعملُ وتمثِّلُ الأدوارَ الرَّئيسيَّة.

وإنَّ سْتْرِنْدْبِرْغ الذي هاجمَ في مقالةٍ شهيرةٍ المؤلِّفين المَسرحيِّين الذين يرسمون أدواراً معيَّنةً لممَثِّلين معروفين، إبتكرَ "بيسكرة"، وهي الشَّخصيَّة الرَّئيسيَّة في المَسرحيَّة خصِّيصاً لزَوجه المَذكورة.

فقد كتبَ لها: "في السُّموم "ريح الصَّحراء" تتحوَّلين فتاةً عربيَّةً تفتكُ بروح ضابطٍ فرنسيٍّ بوسائلَ شتَّى، من بينها الغناء". ويقولُ في رسالةٍ أخرى: "في الآونة الأخيرة كتبتُ مسرحيَّةً بديعةً على منوال "إدغار آلان بو"، سمّيتُها "السُّموم"، وهي في فصلٍ واحدٍ طبعاً. في هذه المَسرحيَّة جعلتُ ريحَ الصَّحراء قوَّةً تُطلقُ الرُّؤى المُرعِبَة التي تقودُ رجلاً فرنسيّاً إلى الانتحار".

إنَّ سْتْرِنْدْبِرْغ الذي كان مولَعاً بتناول الموضوعات الشَّرقيَّة مثلَ "حكاية أبي قاسم الطّنبوري"، وباقتباس الرُّموز الشَّرقيَّة من مثل استشهاده بالرُّموز الفارسيَّة في "البجعَة"، كتبَ مسرحيَّة "السُّموم" في الفترة عَينها التي ازدهرت فيها حركةُ الاستِشراق في أورُبَّا. فقد عُقِدَ في عام كتابته تلك المَسرحيَّة أكبرُ مؤتمرٍ للاستِشراق في إستُكهُلم هو "المؤتمر العالميّ للاستِشراق"، وشاركَ فيه كبارُ الأدباء والمُفكِّرين الأسوجيِّين.

والجديرُ بالذِّكر أنَّ من بين الممَثِّلات الشَّهيرات اللَّواتي قُمنَ بتمثيل دور بيسكرة الممثِّلة الرُّوسيَّة العظيمة "فيرا كوميسارجيفسكايا".

***

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

ألبَجَعَة

ألأشخاص: ألأمّ: إلسا، أرملة؛ ألإبن: فردِريك، طالبُ قانون؛
ألإبنة: جيردا؛ ألصُّهر: زوج جيردا؛ مارجريت: خادمة.

صالة جلوس. في العمق بابٌ يُفضي إلى صالة الطَّعام.
على اليمين بابُ شرفة من الطِّراز الفرنسيّ. مكتبٌ ذو مجرَّات. طاولة كتابة.
أريكة مغطَّاة بغطاءٍ أحمرَ أرجوانيٍّ من المخمَل الوثير الشَّعر، كرسيٌّ هزَّاز.

ألأمّ (في ثياب الحداد، جالسةً على أحد المقاعد باسترخاء وهي تسترقُّ السَّمْعَ بين حين وآخر بقلق)؛ في الخارج تُعزَفُ موسيقى لـ"شوبان":
Chopin, Fantaisie Impromptue, œuvre posthume op.66.

مارجريت (الطَّبَّاخة، تدخلُ من العمق).
ألأمّ: أغلِقي البابَ، رجاءً.
مارجريت: هل السَّيِّدةُ وحدَها؟
ألأمّ: أغلِقي البابَ رجاءً... مَن الذي يعزفُ الموسيقى؟
مارجريت: يا له من طقسٍ فظيعٍ هذا المساء، إنَّه جوٌّ عاصِفٌ ومُمطِر.
ألأمّ: أغلِقي البابَ رجاء، فأنا لا أطيقُ رائحة الكربونيك والأغصانَ المحروقة هذه...
مارجريت: كنتُ أعلمُ هذا، لذلك رأيتُ أنَّه من الأفضل نقلُ سيِّدي إلى مدفن الكنيسة فوراً...
ألأمّ: الأطفالُ هم الذين أرادوا إقامة مراسيم الدَّفن هنا...
مارجريت: لماذا تريدُ سيِّدتي البقاءَ هنا، لماذا لا تنتقلون إلى مكانٍ آخر؟
ألأمّ: صاحبُ المنزل لا يسمحُ لنا بالانتقال، فما علينا إلاّ أن نبقى حيث نحن... (صَمت) لماذا رفعتِ الغطاءَ عن الأريكة الحمراء؟
مارجريت: عليَّ أن أودعَها الغسيلَ (بعد برهة) فالسَّيِّدة تعلمُ جيِّداً أنَّ سيِّدي قد لفظَ أنفاسَه الأخيرة على تلك الأريكة... تخلَّصي من الأريكة إذاً...
ألأمّ: ليس من حقّي زحزحةُ شيء ما عن محلّه ما لم تتمَّ عمليَّةُ الجَرد، لذلك تَرينني جالسةً هنا كالسَّجينة، والغرفُ الأخرى محظورةٌ عليَّ...
مارجريت: ولِمَ؟
ألأمّ: الذِّكريات، الذِّكريات المريرة، وهذه الرَّائحة الكريهة... أهو ابني الذي يعزفُ الموسيقى؟
مارجريت: أجل!! لا يقرُّ له بالٌ في هذا المنزل، فهو قلقٌ وجائعٌ طوال الوقت ويدَّعي أنَّه لم يأكل أبداً ملءَ بطنه.
ألأمّ: لقد كان سَقيماً منذ ولادته.
مارجريت: الرَّضيعُ الذي يرضعُ من حليب القناني بحاجة إلى طعامٍ مُغَذٍّ حقيقيٍّ بعد الفطام.
ألأمّ (بحَزم): هكذا! هل كان يعوزهم شيء؟
مارجريت: ليس بالضَّبط، ولكن، على الرَّغم من ذلك ما كان للسَّيِّدة أن تشتريَ أرخصَ الأشياء وأردأها في حين كنت تبعثين الأطفالَ إلى المدرسة بعد تناولهم كوباً من عصير الهندباء البرِّيَّة مع كسرة خبز... إنَّ هذا ليس عدلاً...

دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

ألأمّ: أطفالي لم يتذمَّروا من الطَّعام قطّ.
مارجريت: هكذا؟ إنَّهم لم يتذمَّروا في حضورك، فهم ما كانوا ليجرؤوا على ذلك... ولكن بمجرَّد أن بلغوا سنَّ الرُّشد صاروا يأتون إليَّ في المطبخ.
ألأمّ: لقد مَرَرنا دائماً بحالات من العَوَز.
مارجريت: ليس الأمر على هذا النَّحو. لقد طالعتُ في الصَّحيفة اليوميَّة أنَّ السَّيِّدَ دفعَ عشرين ألفاً كضريبة دخلٍ أحياناً.
ألأمّ: النُّقود استُنفِدَت.
مارجريت: أجل، أجل، لكنَّ الأطفالَ ضعافَ الأجساد، خُذي الآنسة جيردا، أعني السَّيِّدة الشَّابَّة فهي ليست كاملة النُّموِّ على الرَّغم من أنَّها أكملتِ العشرين!!
ألأمّ: عمَّ تتحدَّثين؟
مارجريت: نعم، نعم. (بعد برهة) هل تريدُ سيِّدتي قطعة حطبٍ لِتَضعَها في المدفأة؟ فالجوُّ باردٌ هنا...
ألأمّ: كلاّ، شكراً. ليس لدينا فائضٌ من النُّقود كي نحرقَها...
مارجريت: لكنَّ طالبَ الحقوق ظلَّ يعاني البردَ طوال اليوم، لذا ينبغي عليه إمَّا الخروج أو البقاء في جوٍّ دافئ بجوار البيانو.
ألأمّ: إنَّه بردان طوال الوقت.
مارجريت: أتساءَلُ لِمَ...؟
ألأمّ: إحذَري... (بعد برهة) أثمَّة شخصٌ يمشي هناك؟
مارجريت: لا، ليس هناك أحد.
ألأمّ: أترينني كمَن يخافُ الأشباح؟
مارجريت: لستُ أعرف، لكنَّني متيقّنة أنَّني لن أمكثَ هنا أكثرَ من هذا... لقد جئتُ إلى هذا المكان ذات مرَّة وكأنَّني كنتُ محكومةً بالاعتناء بالصِّغار... كنتُ أريدُ أن أرحلَ من هنا ما إن شعرتُ بمعاملتكم السَّيِّئة للخَدَم، لكنِّي لم أفلح في ذلك أو لم يُسمَح لي بذلك... وأمَّا الآن وبعد زواج الآنسة "جيردا" أشعرُ أنَّني أدَّيتُ رسالتي وأنَّ لحظة التَّحرُّر قد اقتربَت، ولكن ليس الآن بالضَّبط، على الرَّغم من أنَّ ...
ألأمّ: لا أفهم كلمةً ممَّا تقولين. العالمُ بأسره يعلمُ كيف أنَّني ضحَّيتُ بنفسي لأجل أطفالي، كيف خدمتُ بيتي وأدَّيتُ واجباتي، إنَّكِ الشَّخصُ الوحيدُ الذي يُلقي اللَّومَ عليّ، لكنِّي لن أهتمَّ بذلك. تستطيعين الانصراف متى ما شئتِ. يقيناً لن أستخدمَ خَدَماً ريثما ينتقلُ الأطفالُ إلى هذا المنزل.
مارجريت: ليحالِفْكِ الحظُّ... الأطفالُ غيرُ مُمتنِّين بالفطرة، ومنظرُ الحَماة لا يبعثُ على السُّرور ما لم يكن بحوزتهم شيءٌ من المال.
ألأمّ: لا تقلقي لهذا الأمر. سوف أسدُّ مصاريفي وفوق، سأساعدُ في شؤون المنزل، إضافة إلى أنَّ صهري ليس ككلِّ الأصهار.
مارجريت: أهو كذلك؟...
ألأمّ: أجل، إنَّه كذلك، فهو لا يعاملُني كحَماةٍ له، بل كأختٍ إن لم أقل كصديقة.
مارجريت (تصطنعُ تعبيراً على وجهها).
ألأمّ: أفهمُ تعابيرَ وجهك. إنَّني أحبُّ صهري... هذا حقٌّ مَشروعٌ لي وهو أهلٌ لهذا الحبّ... إنَّ زوجي لم يكُن يحبُّه، بل كان يحسدُه إن لم أقل إنَّه كان يغارُ عليه... أجل لقد جلَّلني بغيرته على الرَّغم من أنَّي لم ألبث شابَّة. هل قلتِ شيئاً؟...

مارجريت: لم أقُلْ شيئاً. لكن يخيَّلُ إليَّ أنَّ هناك مَن يُقبل. إنَّه طالبُ القانون، وهو يسعل، هل أشعلُ النَّار؟
ألأمّ: لا حاجة لذلك.
مارجريت: سيِّدتي لقد قاسيتُ البردَ والجوعَ في هذا المنزل... حسناً، لا ضَيرَ في ذلك... ولكن زوِّديني بسريرٍ لائق، فإنِّي عجوز متعَبَة.
ألأمّ: لقد فات الأوان، ما دُمتِ سترحلين.
مارجريت: صحيح، لقد نسيت ذلك. ولكن، حفاظاً على شرف المنزل أحرقي كلَّ الملاءات التي تَغطَّى بها الآخرون وماتوا فيها، لكي لا تشعري بالخجل إزاءَ الذي سيأتي بعدي... هذا إذا كان هناك من أحد يجيءُ بعدي!
ألأمّ: لن يأتيَ أحد.
مارجريت: وحتَّى إذا جاء، فلن يُطيلَ البقاء. لقد رأيتُ خمسين خادمةً ينصرفن من هنا.
ألأمّ: ذلك لأنَّهم كانوا أناساً سيِّئين. وكلُّكنَّ على هذه الشَّاكِلَة.
مارجريت: شكراً جزيلاً. هكذا... والآن سيأتي دورُك، لكلِّ شخصٍ دورُه بحَسَب التَّرتيب والتَّسلسل.
ألأمّ: هلِ انتهيتِ الآن؟...
مارجريت: نعم، في الحال، سريعاً، بأسرع ممَّا تتصوَرين (تخرُج).
الإبن (يدخل حاملاً كتاباً في يده، يسعلُ ويتلعثمُ قليلاً).
ألأمّ: أغلِقِ البابَ رجاءً.
إلإبن: ولِمَ؟
ألأمّ: أتردُّ عليَّ على هذا النَّحو؟... ماذا تبغي؟...
ألإبن: هل لي بالجلوس والقراءة هنا؟ إنَّ البردَ شديدٌ هناك.
ألأمّ: إنَّك دائماً تشكو من البرد.
ألإبن: عندما يجلسُ المرءُ دون حراك، يعتريه البردُ أكثر. (صَمت، يتظاهرُ بالقراءة) هل تمَّت عمليَّة الجَرد؟
ألأمّ: لِمَ تسأل؟... ألا ينبغي أن ينقضي الحدادُ أوَّلاً. ألستَ في حدادٍ من أجل أبيك؟
ألإبن: بلى... ولكن، إنَّه على ما يرام حيث هو. ولينعَمَ بالسَّكينة التي تنعَّمَ بها أخيراً. وعلى الرَّغم من ذلك، فإنَّ هذا لا يحيلني عن التَّفكير في تدارك وضعي المالي، وفي ما إذا كان يتسنَّى لي المضيِّ في نيل الشَّهادة الجامعيَّة دون الاستِدانة؟
ألأمّ: أنتَ تدري أنَّ والدَك لم يترك من بعدِه شيئاً... ربَّما الدُّيون فقط.
ألإبن: لكنَّ المَتجرَ ذاتَه! لا بدَّ أنَّه يساوي شيئاً.
ألأمّ: ليس هناك مَتجَر، طالما ليس هنالك مستودعٌ للسِّلَع والبضائع، أفهمِتَ؟
ألإبن (يفكّر أوَّلاً): ولكن، عناصر المؤسَّسة، الإسم التِّجاريّ، الزَّبائن...
ألأمّ: لا يُمكن المرءَ أن يبيعَ الزَّبائن...
ألإبن (بعد برهة): صحيح، هذا ما يُقال.
ألأم: هل كنتَ عند المحامي؟ (بعد برهة) أهكذا تندبُ أباك؟
ألإبن: كلاَّ، ليس الأمرُ على هذا النَّحو، لِيُؤخذَ كلُّ شيءٍ على انفراد، أين أختي وزوجُها؟
ألأمّ: لقد عادا من رحلة الزِّفاف صباحَ اليوم، وقد عَرَّجا على دارٍ من دور الاستراحة.
ألإبن: سيتسنَّى لهما على الأقلّ أن يأكلا إلى حدِّ الشَّبَع.
ألأمّ: أنتَ تتحدَّثُ دائماً عن الطَّعام... هل وجدتَ في طعامي عيباً تتذمَّرُ منه؟

ألإبن: لا، لا عيبَ في طعامك.
ألأمّ: ولكن، قُل لي شيئاً واحداً، تتذكَّرُ أنَّني كنتُ مضطَرَّةً إلى أن أعيشَ وحدي في الآونة الأخيرة، حينذاك كنتَ تخرجُ مع أبيك لوحدكما. هل حدَّثك يوماً عن أموره الماليَّة؟
ألإبن (يستغرقُ في كتابه): لا... ليس شيئاً ذا بال.
ألأمّ: هل بإمكانك أن تفسِّرَ سببَ عدم تركه إرثاً من بعده، في الوقت الذي كان يتقاضى فيه عشرين ألفاً في السِّنين الأخيرة؟
ألإبن: لا أعرف شيئاً عن شؤون أبي الماليَّة. لكنَّه صرَّح بأنَّ المنزلَ كان باهظَ الثَّمن وأنَّه قدِ اشترى طقم الأثاث هذا في الآونة الأخيرة.
ألأمّ: حقّاً، أهذا ما قاله؟ هل تظنُّ أنَّه كان مَديناً؟
ألإبن: لا أعرف، لقد كان مَديناً، لكنَّه سدَّد ديونَه.
ألأمّ: إذاً، أين ذهبَ المال؟ هل تركَ وصيَّة؟ لقد كان يكرهُني وقد هدَّدني مراراً عديدة بحرماني من المال. ربَّما يكون قد ادَّخرَ المالَ جانباً؟ (فترة صَمت) هل هناك أحدٌ في الخارج؟...
إلإبن: كلاَّ، لا أسمعُ شيئاً.
ألأمّ: أنا قلقة بعض الشَّيء بسبب كلُّ ما حدث أخيراً، الدَّفن... الشُّؤون الماليَّة... على أيِّ حال أنت تعلمُ أنَّ أختَكَ وصهرك سيحلاّن بالشِّقَّة هذه. فما عليك والحالة هذه إلاَّ أن تجدَ لك غرفةً في المدينة.
ألإبن: نعم، أعرفُ هذا.
ألأمّ: أنتَ لا تحبُّ صهرَك؟
ألإبن: بلى، ليست بيننا مودَّة.
ألأم: لكنَّه فتًى طيِّبٌ وفَطِن... عليك أن تحبَّه، فهو يستحقُّ ذلك...
ألإبن: إنَّه لا يحبُّني، وبالمناسبة فقد كان سيِّئاً إزاء أبي.
ألأم: خطأ مَن كان ذلك؟
ألإبن: أبي لم يكن شيئاً.
ألأم: لم يكُن!!...
ألإبن: أظنُّ الآن أنَّ ثمَّة شخصاً يسيرُ هنالك في الخارج...
ألأمّ: أشعِلْ قطعتَين من الحطب، قطعتَين فقط.
الإبن (يُشعلُ المصباح الكهربائي).
ألأمّ (بعد برهة): ألا تريدُ أن تأخذَ صورةَ أبيك إلى غرفتك؟؟ تلك المعلَّقة على الحائط.
ألإبن: ولماذا ينبغي أن أفعلَ ذلك؟...
ألأمّ: لأنِّي لا أحبُّها... العينان تبدوان شرِّيرتَين.
ألإبن: أنا لا أجدُها كذلك.
ألأمّ: خُذها إذاً إلى غرفتك ما دمتَ تعلِّق عليها هذه الأهمِّيَّة.
ألإبن (يُنزلُ الصُّورة): أجل... سأفعلُ ذلك.
ألأمّ (بعد برهة): أنا بانتظار "آكسِل" و"جيردا"، هل تريدُ أن تلتقيَهما؟
ألإبن: كلاَّ... لستُ توَّاقاً إلى ذلك. سأدخلُ غرفتي... بمجرَّد أن أحصلَ على شيء من الحطب للمدفأة.
ألأمّ: ليس لدينا الفائضُ من النُّقود كي نحرقَها.
ألإبن: هذا ما لا تزال نسمعُه طوال عشرين سنة، على الرَّغم من أنَّنا كنَّا نملكُ مالاً للسَّفر خارج البلاد في رحلات مسلِّية، للمظاهر ليس إلاَّ، وعلى الرَّغم من أنَّنا تناولنا عشاءً بما يضاهي مائة

كرونة أو ما يعادلها ثمنَ أربع رزم من الحطب، كلُّ رزمةٍ ملء الذِّراعَين. أجل أربعُ رزمٍ من الحطب، كلُّ رزمةٍ ملء الذِّراعَين.
ألأمّ: هراء...
ألإبن: أجل، لقد كان ذلك ضرباً من الفوضى، وإلاّ يبدو أنَّ كلَّ شيء... فقط لو أنَّ الأمورَ تستَتِبُّ...
ألأمّ: ماذا تعني؟
ألإبن: أعني عمليَّة الجَرد وأموراً أخرى.
ألأمّ: أيَّة أمور أخرى؟
ألإبن: القروض وغيرُها من الأمور التي لا تزال معلَّقة.
ألأمّ: هكذا!!
ألإبن: وبالمناسبة، هل لي أن أشتريَ بعض الملابس الصُّوفيَّة؟
ألأمّ: كيف تجرؤ أن تطلبَ ذلك الآن؟ عليك أن تفكِّرَ بأن تكسبَ بنفسِك عن قريب...
ألإبن: عندما أكونُ قد نلتُ الشَّهادة.
ألأمّ: ولحين ذاك بإمكانك أن تستدينَ كما يفعلُ الآخرون.
ألإبن: ومَن يوافق أن يقرضَني مالاً؟...
ألأمّ: أصدقاءُ أبيك.
ألإبن: أبي لم يكن له أصدقاء. فالإنسان الحرُّ في تفكيره لا يُمكنُ أن يكونَ له أصدقاء. في حين أنَّ الصَّداقة مبنيَّةٌ على الارتباط بالإعجاب الدَّاخليِّ...
ألأمّ: يا لكَ من حكيم، لقد تعلَّمتَ كلَّ هذا من أبيك.
ألإبن: نعم، فهو كان رجلاً حكيماً، والذي ارتكبَ حماقات بين حين وآخر...
ألأمّ: لا، إسمَع، هل تفكِّرُ بالزَّواج؟
ألإبن: كلاَّ، شكراً... أن أتزوَّجَ كي أدعَ زوجتي تؤنسُ السَّادةَ الشَّباب، أن أكونَ درعاً قانونيّاً لحماية امرأة ساقطة تغازلُ الآخرين، أن تجهِّزَ أحسنَ أصدقائك، أي أسوأ أعدائك بالعتاد في حرب ضدَّ نفسِك! كلاَّ، جنِّبيني هذا...
ألأمّ: آه، ماذا أسمع؟ إنصرف إلى غرفتِك. حَسبي أن أتحمَّلَ اليومَ كلَّ هذا. يقيناً إنَّك ثَمِل.
ألإبن: عليَّ أن أشربَ قليلاً باستمرار وذلك لكي أخفِّفَ من السُّعالِ من جهة ولكي أشعرَ بالشَّبع من جهةٍ أخرى.
ألأمّ: هل تشكو من طعامي ثانية؟
ألإبن: ليس في طعامك عيبٌ سوى أنَّه طعامٌ خفيف، عديمُ المَذاق كالهواء.
ألأمّ (مَشدوهَة): الآن عليك أن تنصرف.
ألإبن: أو ربَّما طعامُك متبَّلٌ كثيراً بالفلفل والملح لدرجة أنَّ المرءَ يشعرُ بالجوع بعد تناوله وكأنَّه متبَّلٌ بالهواء.
ألأمّ: أعتقد أنَّك ثَمِل... أُغرُبْ عنِّي.
ألإبن: أجل... أجل، سوف أذهب، كنتُ أودُّ أن أضيفَ شيئاً آخرَ، ولكن، لا باس...
ألأمّ (متوتِّرة، تذرعُ المكان، تسحبُ مجرَّات طاولة الكتابة).
***

ألصِّهر (يدخلُ على عجل).
ألأمّ (ترحِّبُ به بحرارة): أخيراً أنتَ يا "آكسِل"، لقد اشتقتُ إليك. ولكن، أين "جيردا"؟...

© Tous droits réservés

ألصِّهر: ستأتي في ما بعد،... كيف أنتِ؟ كيف تسيرُ الأمور؟
ألأمّ: إجلِس ودَعني أسألُك أوَّلاً، فإنَّنا لم نتقابل منذ حفل زفافكما، لِمَ عدتَ هكذا على عجل؟ كان ينبغي أن تقضيا ثمانية ايَّام، وها أنتَ قد عدتَ ولم يمضِ على سفركما سوى ثلاثة أيَّام.
ألصِّهر: كانت أيَّاماً رتيبة، إنَّكِ تعلمين ما إنْ يفصِحُ المرءُ عن كلِّ ما عنده حتَّى يبدأ الشُّعورُ بثِقَل الوحدة، ونحن كنَّا قد تعوَّدنا صحبتَكِ حتَّى أصبحنا نشتاقُ إليكِ...
ألأمّ: أحقاً؟ وهو كذلك، فنحن الثَّلاثة تكاتفنا بوجه كلِّ الأعاصير، ويُخيَّلُ لي أنَّكما وجدتما في شخصي عَوناً لكما.
ألصِّهر: "جيردا" مجرَّد طفلة لا تفهم فنَّ الحياة. لها أحكام مسبَقة، عنيدة بعضَ الشيء ومتعصِّبة في بعض الأحوال.
ألأمّ: والآن، كيف وجدتَ حفلَ زفافكما؟
ألصِّهر: كان ناجحاً، نجاحاً باهراً. وماذا عن الأشعار؟
ألأمّ: تعني تلك التي نُظِّمَت فيَّ... ليس بوسعي أن أتخيَّلَ أبداً أنَّ ثمَّة حَماة أخرى حازت بمثيلٍ لها في زفاف ابنتها. أتتذكَّر تلك القصيدة التي تروي قصَّة "البَجَعَة" التي تُـرضع صغارها من دمها؟ أتدري أنَّني بكيتُ حينها... أجل، بكيت.
ألصِّهر: صحيح، في أوَّل الأمر، لكنَّكِ بدأتِ ترقصين في ما بعد. "جيردا" كادت تغار منكِ تقريباً.
ألأمّ: آه،... لم تكن تلك المرَّة الأولى... فهي كانت تريدني أن أحضرَ الحفلة في ثياب الحداد كما صرَّحت بنفسها ولكنِّي لم أُعِرْ ذلك انتباهاً. أيتحتَّمُ عليَّ أن أُذعِنَ لأطفالي؟
ألصِّهر: عليكِ ألاَّ تهتمِّي بذلك، فـ "جيردا" غريبة الأطوار أحياناً، فما إن أرمقَ امرأةً بنظرةٍ حتَّى...
ألأمّ: ماذا؟ ألستما سعيدَين؟
ألصِّهر: سعيدَين؟ ايُّ ضربٍ من السَّعادة تعنين؟
ألأمّ: هكذا إذاً؟ هل تشاجرتما سلفاً؟
ألصِّهر: سلفاً؟ منذ خطوبتِنا ونحن لم نفعلْ شيئاً سوى المشاجرة... والآن هنالك نكبةٌ أخرى، حيث أنَّ عليَّ أن أستقيلَ من وظيفتي كملازمٍ وأخدمَ بدلاً من ذلك في سلكِ الاحتياط. إنَّه لأمرٌ مسلٍّ، لكنِّي أتصوَّرُ أنَّ حبَّ "جيردا" لي وانا ارتدي الزِّيَّ المدنيَّ أقلُّ مقداراً من حبِّها لي وأنا في البزَّة العسكريَّة.
ألأمّ: ولمَ لا ترتدي بزَّتَك العسكريَّة إذاً؟ أعترفُ أنَّني بالكاد أتعرَّف عليكَ وأنتَ في الزِّيِّ المدنيِّ. حقاً إنَّكَ إنسانٌ آخر من دون بزَّتِك العسكريَّة.
ألصِّهر: لا يحقُّ لي ارتداءُ البدلة العسكريّة خارجَ أوقاتِ الخدمةِ والاستعراضات العسكريَّة.
ألأمّ: لا يحقُّ لك؟
ألصِّهر: أجل!! إنَّه أمر.
ألأمّ: يا لـ "جيردا" الشقيَّة، فهي خُطِبَت لملازمٍ أوَّل، لكنَّها متزوِّجة من موظَّف حسابات.
ألصِّهر: ماذا بوسع المَرءِ أن يفعلَ؟ علينا أن نمضيَ في الحياة. وبمناسبة ذكر الحياة، كيف تسيرُ الأمور؟
ألأمّ: بصراحة لا أعلم!! لكنَّ الظُّنونَ بشأن "فردِريك" بدأت تساورُني.
ألصِّهر: كيف؟
ألأمّ: لقد خاطبَني بأسلوبٍ غريبٍ هذا المساء!!
ألصِّهر: هذا الأحمق!...
ألأمّ: إنَّهم يعمدون إلى التَّحايلِ غالباً، وأنا لستُ بمتيقِّنة من عدمِ وجودِ وصيَّةٍ أو مالٍ مدَّخر.

 © Tous droits réservés

ألصِّهر: هل بدأتِ بالبحث؟
ألأمّ: لقد فتَّشتُ كلَّ مجراته...
ألصِّهر: مجرات الإبن؟
ألأمّ: طبعاً؟ إنَّني أنبشُ سلَّة مهملاته باستمرار. لأنَّه يمضي في كتابة رسائلَ ما يلبثُ أن يمزِّقَها.
ألصِّهر: ليس هذا بهامّ. ولكن، هل نبشتِ مكتبَ العجوز؟
ألأمّ: نعم... بالطَّبع.
ألصِّهر: ولكن بإمعان، جميع المجرات.
ألأمّ: جميعها!...
ألصِّهر: ثمَّة في كلِّ مكتبٍ مجرةً خاصَّةً بالمدَّخرات الثَّمينة.
ألأمّ: هذا ما لم يخطر على بالي.
ألصِّهر: إذاً علينا أن نجرِّبَ هذا.
ألأمّ: كلاَّ، إيَّاكَ أن تمسَّ تلك المجرة، إنَّها مختومةٌ من قبلِ لجنة الجَرد.
ألصِّهر: ألا يستطيعُ المَرءُ أن يدسَّ يدَه من خلال الخَتم؟
ألأمّ: كلاَّ... لا يمكن...
ألصِّهر: بلى... إذا ما استطعنا أن نحلَّ الألـواحَ الخلفيَّــة، فمجرات المدَّخـرات الثَّمينة تقعُ عادةً في الخلف.
ألأمّ: تعوزنا آلةٌ مناسبةٌ لهذا الغَرَض.
ألصِّهر: أوه، كلاَّ! يمكنُنا ذلك دون الحاجة لآلة...
ألأمّ: ولكن، لا ينبغي لـ "جيردا" أن تعرفَ بذلك.
ألصِّهر: لا، بالطَّبع، إنَّها تُفضي لأخيها بكلِّ شيء.
ألأمّ (تُغلقُ الأبواب): إنَّني أغلقُها للسَّلامة فقط.
ألصِّهر (يتفحَّصُ المكتبَ من الخلف): تصوَّري، كان شخصٌ ما هنا!!! إنَّ خلفيَّة المكتب مفتوحة. باستطاعتي أن أدسَّ يدي. أترَين؟ لقد تحقَّقَت ظنوني.
ألأمّ: هذا من عمل الولد، أسرع، هنالك شخصٌ قادم.
ألصِّهر: هنالك أوراق...
ألأم: أسرع، ثمَّة شخصٌ آتٍ.
ألصِّهر: هناك طردٌ كبير.
ألأمّ: "جيردا" قادمة، أعطِني الأوراق... أسرع...
ألصِّهر (يُعطيها طرداً كبيراً، حيث تخفيه الأم): خُذيه!... خُذيه...
***

 © Tous droits réservés

(صوتُ ارتجاج الباب ثمَّ طرقٌ مُتَسارعٌ عليه)

ألصِّهر: كان غباءً منكِ حين أقفلنا الأبواب. لقد خسرنا كلَّ شيء.
ألأمّ: صمتاً...
ألصِّهر: يا لكِ من حمقاء... إفتحي، وإلاَّ فتحتُه بنفسي... أبعِدي... (يفتحُ الصِّهر الباب)
جيردا (تدخلُ مكتئِبةً): لماذا أقفلتما الباب على نفسيكما؟
ألأمّ: ألا تحيِّنا أوَّلاً، يا صغيرتي، فأنا لم أراك منذ زفافكما. هل كانت سفرتكما ممتعة؟ تحدَّثي ولا تكوني مكتئِبةً هكذا.
جيردا (تجلس مكتئِبةً على أحد المقاعد): لماذا اقفلتما الباب؟
ألأمّ: ذلك لأنَّه ينفتح من تلقاء نفسه وأنا مَلَلتُ الإيعاز بإغلاقه كلَّما مرَّ أحدٌ خلاله. هل تنويان تأثيثَ شقَّتكما الآن؟ إنَّكما يقيناً سوف تقيمان هنا؟
جيردا: لا مناصَّ لنا من ذلك، أنا شخصيّاً لا أكترثُ بالأمر. ماذا يقولُ "آكسِل"؟
ألصِّهر: نعم، سيكون على أحسن ما يُرام. ولن يكونَ الأمر بأسوأ منه في ما يخصُّ العجوزَ خصوصاً عندما يحلُّ الوئام.
جيردا: وأين تقيمُ أمِّي والحالُ هذه؟
ألأمّ: هنا، يا ابنتي، سأُدخِل فقط سريراً...
ألصِّهر: هل تُدخلين أنتِ سريراً في صالة الجلوس هذه؟
جيردا (تنتفض عند كلمة "أنتِ"): أتعنيني أنا؟
ألصِّهر: أنا أعني العجوز، ولكن، لا بأسَ، سيسيرُ الأمرُ على ما يُرام. علينا أن نتساعدَ وسنعيشُ على ما تدفعه العجوز لنا!!
جيردا (تتوهَّج): وسوف أتلقَّى شيئاً من العون لتدبير الأمور المنزليَّة.
ألأمّ: لا شكَّ في ذلك يا بنيَّتي، لكنِّي لا أريدُ أن أغسلَ الصُّحون.
جيردا: هذا ما لا شأن لكِ فيه. أجل، ستسيرُ الأمور على أفضل ما يُرام، شرطَ أن يكونَ زوجي مُلكاً لي... ليس لأحدٍ أن ينظرَ إليه، هذا ما فعلوه هناك في دار الاستِراحة، وهذا ما قصَّرَ من أمدِ رحلتنا. وأمَّا الذي يحاولُ أن يأخذَ زوجي منِّي فسيكونُ الموتُ مصيرَه. ها قد عرفتُم ذلك...
ألأمّ: سنخرجُ فوراً كي ننقلَ الأثاث.
ألصِّهر (يُحدِّق في الأمّ): حسناً، بإمكان جيردا أن تبدأ من هنا.
جيردا: ولِمَ ذلك؟ لا أريدُ أن أُتركَ وحيدةً هنا. لن يقرَّ لي قرار ما لم ننتهِ من الانتقال.
ألصِّهر: بما أنَّكِ تخشَين الظَّلام، دعونا ندخل نحن الثَّلاثة معاً.
(الثَّلاثةُ معاً في الدَّاخل)
***

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

المسرح خالٍ، في الخارج رياحٌ عاتيةٌ يُسمعُ لها صفيرٌ من خلال النَّوافذ والمدفأة. الباب الخلفي ينصفقُ بين حينٍ وآخر،
الأوراقُ الموضوعةُ على طاولة الكتابة تتناثرُ في أرجاء الغرفة بفعلِ الرِّيح. ثمَّة شجيرةُ غارٍ قائمةٌ على مسنَدٍ تهتزُّ بعنف.
يُسمعُ صوت الإبن "أمَّاه..."، بعد هذا مباشرةً يُسمعُ صوت "أغلِق النافذة..."

(صمت)

الكرسيُّ الهزَّازُ يبدأ بالاهتزاز.

ألأمّ (تدخلُ هائجةً تحملُ ورقةً تقرأ فيها): ما هذا؟ الكرسيُّ الهزَّازُ يتأرجح؟...
ألصِّهر (يدخلُ بعدها): ماذا جرى؟ ما هذا؟ هل لي أن أقرأها؟ أهي الوصيَّة؟
ألأمّ: أغلِقِ الباب، وإلاَّ فستكتسحُنا الرِّياح، ليست هنالك وصيَّة. عليَّ أن أفتحَ نافذةً كي نتخلَّصَ من هذه الرَّائحة. إنَّه خطابٌ موجَّهٌ إلى الإبن يفتري فيه الأب عليَّ وعليك...
ألصِّهر: هل لي أن أقرأه؟
ألأمّ: كلاَّ، ستتسمَّم من جرَّائه، سأمزِّقه. من حسن الحظِّ أنَّه لم يقَع بين يدَي "فردِريك". (تمزِّقُ الرِّسالة وتُلقي بها في المدفأة) تصوَّر، إنَّه ينبعثُ من قبره ثانيةً ويتحدَّث، إنَّه ليس مَيْتاً! لا أستطيعُ أبداً أن أُقيمَ هنا. لقد كتبَ يقولُ إنَّني أنا التي قتلْتُه. هذا ما لم أفعلْه أنا، لقد مات إثر صدمةٍ دماغيَّة، هكذا شخَّصَ الأطبَّاء. ولكنَّه يذكرُ أموراً أخرى مجملُها محضُ أكاذيب، منها أنَّني أنا التي تسبَّبَت في إفلاسه. إسمَع يا "آكسِل"، قُلْ لي بأنَّنا سوف نهجرُ هذا المنزل قريباً. إنَّني لم أعُد أتحمَّلُه، عِدني بذلك... أنظُرْ إلى الكرسيِّ الهزَّاز؟؟
ألصِّهر: إنَّه تيَّارُ الهواء فحَسب.
ألأمّ: دَعنا نهجرُ هذا المنزل، عِدني بذلك.
ألصِّهر: هذا ما لا أقدرُ عليه... كنتُ أتوقَّعُ إرثاً طالما كنتِ تلوِّحين لي به. ولولا ذلك لما كنتُ تزوَّجت، والآن عليكِ أن ترتَضي بأمر الواقع وأن تعامليني كصهرٍ مخدوعٍ آلَ إلى الإفلاس. ينبغي لنا أن ندَّخرَ وعليكِ أنتِ أن تعينينا على ذلك.
ألأمّ: أتقصدُ بذلك أنَّ عليَّ أن أعملَ كخادمةٍ في بيتي؟ هذا ما لستُ عازمةً عليه.
ألصِّهر: للضرورةِ أحكام...
ألأمّ: يا لكَ من وغد.
ألصِّهر: إحترسي، أيَّتها العجوز الشَّمطاء!
ألأمّ: خادمة لك!
ألصِّهر: حتَّى تتبيَّني كم كانت خادماتُك يقاسينَ البردَ والجوع. وهذا ما أنتِ في غنًى عنه.
ألأمّ: بإمكاني الحصولُ على قسطِ التَّأمين كأرملة.
ألصِّهر: إنَّه لا يكادُ يكفي لدفعِ إيجار غرفةٍ في السَّطح. لكنَّه يكفي لتسديد إيجار هذا المنزل فيما لو عشنا بسلام، وإلاَّ فسأرحلُ أنا.
ألأمّ: ترحلُ عن "جيردا"؟ إنَّكَ لم تحبَّها قطّ.
ألصِّهر: هذا ما تعرفينَه أفضلَ منِّي. لقد اقتلعتِها من ذاكرتي. لقد أزحتِها خارجاً فلم يبقَ لها مكانٌ في حياتي، باستثناء السَّرير الذي ظلَّت تحتفظُ به، وستغتصبين أطفالها فيما لو قدِّرَ لها أن تنجبَ

بعضاً منهم... ما زالت "جيردا" لا تدركُ الأمور، لا تعي شيئاً، إنَّها تسيرُ وهي نائمة. لكنَّها تصحو من غفوتها. إحذري فقط حين تفتحُ عينَيها.
ألأمّ: "آكسِل"، علينا أن نتَّحِدَ، لا ينبغي أن ينفصلَ أحدُنا عن الآخر... إنِّي لا أتحمَّلُ أن أعيشَ بمفردي، أوافقُ على كلِّ شيء ولكن باستثناء النَّوم على تلك الأريكة.

ألصِّهر: لا أريدُ أن أُفسِدَ صالة الجلوس بوجود سرير هنا.
ألأمّ: دَعني إذا أمتلكُ واحدةً غيرها.
ألصِّهر: كلاَّ، لا يمكننا شراءُ غيرها. وإنِّي لا أجدُ هذه جميلةً بحدِّ ذاتها.
ألأمّ: أوه... مثلها كمثلِ دكَّة الذَّبح الدَّامية.
ألصِّهر: هراء... ولكن لو أبيتِ أن ترتضيَ بذلك، فعليكِ آنئذٍ أن تختاري العيشَ بمفردِك في غرفةٍ في السَّطح أو في مأوًى للفقراء وحضور الصَّلاة الجَماعيَّة.
ألأمّ: لقد قبِلْت.
ألصِّهر: حسناً تفعلين. (بعد برهة)
ألأمّ: تصوَّر فقط أنَّه يكتبُ لابنه بأنَّه ماتَ قتيلاً.
ألصِّهر: هنالك أكثر من طريقة للقتل، وأمَّا طريقتُكِ فتمتازُ بأنَّها تفلتُ من عقاب القانون.
ألأمّ: بل قل طريقتُنا، لأنَّك كنتَ متواطِئاً في ذلك، حين دفعتَه على الرَّغم منه إلى حالة هيجان وقُدتَه إلى اليأس.
ألصِّهر: كان واقفاً في طريقي، رافِضاً التَّنحِّي جانباً، وعليه فقد كنتُ مضطَّرّاً إلى دفعه جانباً.
ألأمّ: الشَّيءُ الوحيدُ الذي ألومُكَ عليه هو أنَّكَ أغريتَني بترك منزلي ولذا لن أنسى تلك الأمسِيَة، أوَّلَ أمسِيَةٍ في بيتِك عندما كنَّا جالسَين بجوار مائدةٍ عامرة، حيث طرقَتْ أسماعَنا صرخاتٌ مُفزِعةٌ آتيةٌ من الحقول. صرخاتٌ كانت وكأنَّها صادرةٌ من باحة سجنٍ أو مأوى مجانين... هل تتذكَّر؟ لقد كان هو بعَينه قاصداً حقولَ التَّبغ في الظُّلمة والمطرِ منتَحِباً فَقدَ زوجته وأطفاله.
ألصِّهر: لماذا تروين كلَّ هذا الآن؟ وكيف تعرفين بأنَّه كان هو نفسَه؟
ألأمّ: هذا ما جاء في الخطاب.
ألصِّهر: ما لنا وكلِّ هذا؟ فهو لم يكن ملاكاً!
ألأمّ: كلاَّ، لم يكُن ملاكاً، لكنَّه كان أحياناً يملكُ أحاسيسَ إنسانيَّة... نعم، أرَقّ بقليلٍ ممَّا تملكه أنتَ...
ألصِّهر: ها قد بدأتِ تميلين إليه.
ألأمّ: لا تكُن شرِّيراً، علينا أن نحافظَ على رباطة جأشِنا.
ألصِّهر: هذا ما ينبغي لنا، فنحن محكومون. (تُسمعُ من الدَّاخل صرخاتٌ مبحوحة)
ألأمّ: ما هذا؟ أتسمَع!! إنَّه هو...
ألصِّهر (بفظاظة): مَن تقصدين؟ (تقفُ الأمُّ وتسترقُ السَّمْعَ)
ألصِّهر: مَن هناك؟ إبنُكِ؟ أظنُّ أنَّه ثَمِلٌ مرَّةً أخرى.
ألأمّ: أهو "فردِريك"؟ إنَّ صوتَه شبيهٌ بصوته... هذا ما خُيِّلَ لي... لن أطيقَ هذا أبداً. ماذا حَداهُ الآن إذاً؟
ألصِّهر: إذهبي وتبيَّني الأمر. يبدو أنَّ الوغدَ ثَمِل.
ألأمّ: كيف تنطقُ بمثل هذا؟ إنَّه ابني على أيَّة حال!
ألصِّهر: إبنُكِ على أيِّ حال. (ينظرُ إلى ساعة جيبه)
ألأمّ: لمَ تنظرُ إلى ساعتِك؟ ألا تريدُ البقاءَ للعشاء؟

ألصِّهر: كلاّ، شكراً، لستُ أشتهي الشَّايَ الفاقعَ ولن آكلَ أبداً سمكَ الأنشوفة ذا الرَّائحة الزَّفِرَة مع الثَّريد. وبالمناسبة، يجبُ أن أحضرَ اجتماعاً هذا المساء.
ألأمّ: أيَّ اجتماع؟
ألصِّهر: بخصوص أمورٍ لا تعنيكِ. أتريدين القيام بدورِ الحَماة؟
ألأمّ: هل تترك زوجتَك وحدَها في اللَّيلة الأولى من وصولِكما المنزل؟
ألصِّهر: وهذا أيضاً لا يعنيكِ.
ألأمّ: الآن أفهمُ أيُّ قدَرٍ ينتظرُني وأطفالي. الآن سيبدأ سقوطُ الأقنعة.
ألصِّهر: الآن سيبدأ ذلك.
(تُسدَلُ السِّتارة)
***
في الخارج عزفُ موسيقى Berceuse من Jocelyn لغودارد Godard.

"جيردا" تجلسُ بجوار طاولة الكتابة. (صَمتٌ طويل)

ألإبن (يدخل): هل أنتِ بمفردك؟
جيردا: نعم! أمِّي في المطبخ.
ألإبن: وأين "آكسِل" إذاً؟
جيردا: لقد ذهب ليحَضرَ اجتماعاً، "فردريك"، إجلِس لنتحدَّثَ، وكُن لي جليساً.
ألإبن (يجلس): أجل، أعتقدُ أنَّنا لم نتجاذبَ أطرافَ الحديثِ أبداً في ما مضى. كان أحدُنا يتحاشى الآخر، ولم يكُن سميلُ واحدُنا إلى الآخر.
جيردا: كنتَ دائماً تصوِّتُ لصالحِ أبي، وأنا كنتُ أمنحُ صوتي لأمِّي.
ألإبن: ربَّما سينقلبُ الأمرُ بعد الآن. هل كنتِ تعرفين أباكِ؟
جيردا: سؤالٌ غريب! لكنِّي كنتُ حقّاً أراه فقط بعينَي أمِّي.
ألإبن: لكنَّكِ كنتِ تشعرين بأنَّه كان يحبُّكِ.
جيردا: لماذا إذاً كان يريدُ أن يحولَ دون خطوبتي؟ لماذا كان يريدُ فسخَها؟
إلإبن: لأنَّه كان لا يجدُ في زوجِك العونَ الذي كنتِ بحاجةٍ إليه!
جيردا: ولهذا بالذَّات نالَ عقابَه عندما هجرَته أمِّي.
ألإبن: هل كان زوجُكِ هو الذي أغراها بالرَّحيل؟
جيردا: كلانا، هو وأنا. كان على أبي أن يذوقَ طعمَ الانفصالِ عندما حاولَ أن يفصلَني عن خطيبي.
ألإبن: وهذا ما سرَّعَ في أجَله. صدِّقيني، كان يريدُ لكِ كلَّ الخير.
جيردا: كنتَ تقيمُ عنده. ماذا قال بشأن ذلك؟ كيف أخذ الأمرَ؟
ألإبن: صارت معاناتُه غيرَ قابلةٍ للوصف.
جيردا: ماذا قالَ عن أمِّي؟
ألإبن: لا شيء، بعد كلِّ ما رأيت، لن أتزوَّجَ أبداً. (بعد برهة) جيردا، هل أنتِ سعيدة؟
جيردا: نعم، عندما تحظى المرأةُ بالرَّجل الذي تحبُّه ستكونُ سعيدةً آنذاك.
ألإبن: ولماذا يتركُكِ رجلُك وحدَكِ في اللَّيلة الأولى؟
جيردا: له مشاغلُه، يجب أن يحضرَ اجتماعات.
ألإبن: في المطعم؟

© Tous droits réservés

جيردا: ماذا تقول؟ هل أنتَ متأكّد؟
ألإبن: كنتُ أظنُّكِ تعرفين...
جيردا (تضعُ رأسَها بين يدَيها وتُجهشُ بالبكاء): إلهي... إلهي...
ألإبن: سامحيني إن كنتُ آلمتُك.
جيردا: أجل، لقد آلمتَني... آلمتَني، أتمنّى لو أموت...
ألإبن: لماذا لم تقضيا فترةً أطولَ في سفركما؟
جيردا: كان آكسِل قَلِقاً على مشاريعه. كان يحنُّ إلى لقاء أمِّي، فهو، كما تدري، لا يطيقُ بُعدَها. (يتبادلان النَّظر)
ألإبن: هكذا؟ (بعد برهة) وباستثناء هذا، هل استمتَعتُما بالسَّفر؟
جيردا: أجل.
ألإبن: مسكينة جيردا!
جيردا: ماذا تقول؟
ألإبن: حسناً، أنتِ تعلمين مدى فضول أمِّي، وهي معروفةٌ باستخدامها الهاتف أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر؟!
جيردا: ما الذي تقول؟ هل كانت تتجسَّسُ علينا؟
ألإبن: إنَّها تتجسَّسُ دائماً وربَّما هي الآن واقفةٌ خلفَ أحدِ الأبواب تتنصَّتُ لحديثِنا هذا!!
جيردا: إنَّكَ لتُسيءُ الظَّنَّ بأمِّنا.
ألإبن: وأنتِ تُحسنين الظَّنَّ بها دائماً! كيف يمكنُ هذا أن يحدثَ؟ إنَّكِ تعرفين كيف هي.
جيردا: كلاَّ، ولستُ أريدُ أن أعرفَ.
ألإبن: إذاً فهذا شأنٌ آخر. إنَّكِ لا تريدين أن تعرفي، لأنَّ ذلك ليس من مصلحتِك.
جيردا: لا تَقُلْ شيئاً. أعلمُ أنَّني سائرةٌ في منامي، أعلمُ ذلك... وعلى الرَّغم من ذلك فلا رغبة لي في أن أصحوَ. ولو صحوتُ لَفقدتُ القدرةَ على الحياة.
ألإبن: ألا ترَين أنَّنا جميعاً نمضي ونحن نيام؟ فأنا، كما تعلمين، أدرسُ القانونَ وملفَّاتِ المحاكم. لقد قرأتُ عن مجرمين كبار ممَّن لا يجدون تفسيراً لقيامهم بالجرائم... وقد كانوا يتصوَّرون أنَّهم كانوا على صواب حين اقترفوا قبل أن ينكشفوا، وقبل أن يصحوا... يجب أن يكونوا غارقين في النَّوم... إن لم يكونوا يحلمون.
جيردا: دَعني أنام، أعلمُ أنَّني سأفيقُ ذات يوم... لكنِّي أتمنَّى أن يطولَ بي الزَّمن إلى ذلك اليوم. كلُّ هذه الأمور أجهلُها، لكنَّ الشُّكوكَ تساورُني حولها. هل تتذكَّر عندما كنَّا صغاراً، كان النَّاس يدعوننا أشراراً عندما كنَّا نجهرُ بالحقيقة. كان يُقالُ عنِّي أنِّي شرِّيرة. كنت أسمِّي الشَّيء السَّيِّئَ بالسَّيِّئ... وهكذا عوَّدتُ نفسي على السُّكوت، فكسبتُ رضاءَ الآخرين عن سلوكي الحسن... على هذا النَّحوِ علَّمتُ نفسي ألاَّ أقولَ ما أعني. وفي الحال أصبحتُ مستعدَّةً لمواجهة الحياة.
ألإبن: على المَرء أن يغضَّ النَّظرَ عن أخطاء جاره وعيوبه، هذا صحيح... ولكن من الصَّعب أن تعرفَ كيف يجب أن تتصرَّف. الواجبُ يقتضي أحياناً أن نبوحَ بالحقيقة.
جيردا: أسكُت!!
ألإبن: سأسكت... (صَمت)
جيردا: كلاَّ، يجدرُ بنا أن نتكلَّمَ، ولكن ليس عن هذا الموضوع. أنا أسمعُ أفكارَكَ من خلال الصَّمت. عندما يلتقي البشر فإنَّهم يتحدَّثون ويتحدَّثون حديثاً لا نهاية له لمجرَّد أن يُخفوا أفكارَهم لينسَوا، ليقتلوا مشاعرَهم، لكَي يصحوا. إنَّهم يريدون سماعَ ما هو جديد بشأن الآخرين، لكنَّهم يحتفظون بأسرارهم ومشاكلهم الخاصَّة بهم.

 © Tous droits réservés

ألإبن: مسكينةٌ جيردا.
جيردا: هل تعرف أيُّ الآلام أعظمُ شأناً؟ (صَمت) هو عندما ترى خواء السَّعادة في مُنتهاها.
ألإبن: أصَبتِ.
جيردا: أشعرُ بالبرد، هاتِ قليلاً من الحطب.
ألإبن: أتشعرين بالبرد أنتِ ايضاً؟
جيردا: لقد شعرتُ دائماً بالبرد والجوع...
ألإبن: أنتَ أيضاً، غريبٌ أمرُ هذا المنزل، ولكن، إذا خرجتُ الآن باحثاً عن الحطب فالنَّتيجةُ ستكون شجاراً لثمانية أيَّام.
جيردا: ربَّما توجدُ قطعٌ من الحطب في المدفأة. فأمِّي تُلقي بقطعٍ من الحطب أحياناً هناك لا لشيء إلاّ لكي تضلِّلنا.
ألإبن (يتَّجهُ نحو المدفأة): هنالك حقاً بعض الأخشاب... (صَمت) ولكن، ما هذا؟... رسالة ممزَّقة؟ سيُمكننا إضرامُ النَّار بها.
جيردا: فردِريك، إيَّاكَ أن توقدَ النَّار. سنتورَّطُ في شجارٍ لا نهاية له. تعالَ واجلِسْ ثانيةً. ولنَتَحدَّث...
ألإبن (يجلسُ ويضعُ الرِّسالة على الطاولة، قريباً منه - صَمت).
جيردا: لماذا كان أبي يكرهُ زوجي على هذا النَّحو؟
ألإبن: ذلك لأنَّ "آكسِل" هذا جاء فسلبَ منه ابنتَه وزوجته، وأصبحَ عليه أن يعيشَ وحيداً... وقد لاحظ العجوز أنَّ الصِّهرَ كان يحظى بطعامٍ أفضلَ من الطَّعام الذي كان يحظى به هو نفسُه. كنتم تُقفلون الباب على أنفسكم عندما كنتم تجلسون في الصَّالة مستمتعين بالموسيقى والتَّحدُّث بصوتٍ عالٍ وقراءة ذلك النوع من الأدب الذي لم يكُن ليستسيغَه. لقد كان مطروداً من بيته، يتناولُ طعامَه خارجَ المنزل، فراح يرتادُ الحانات.
جيردا: لم نكُن نَعي فِعلَتنا... مسكينٌ أبي!! ولكن ثمَّة شيئاً واحداً ندينُ له بالامتنان وهو أنَّ أبوَينا كانا يتمتَّعان بالاسم الطَّيِّب والشُّهرة الحسنة... أتذكُر ذكرى زواج والدَينا؟ كلُّ تلك الكلمات والقصائد المَنظومة؟
ألإبن: أذكر، كنتُ أرى الأمرَ كلَّه مجرَّد مهزلة. أن تحتفلَ بذكرى حياة زوجيَّة سعيدة على هذا القدر من السَّعادة... حياة زوجيَّة نَكِدَة كعَيش الكلاب...
جيردا: فردِريك!
ألإبن: لا استطيعُ الكفَّ عن هذا الموضوع. تعلمين بنفسك أيَّ حياة كانا يعيشان حقّاً. ألا تتذكَّرين كيف حاولت أمَّنا الإلقاءَ بنفسها من النَّافذة وسعَينا للحؤول دون ذلك؟
جيردا: كُفَّ عن هذا...
ألإبن: ثمَّة أسبابٌ وراء ذلك نجهلُها نحن... ففي فترة الطَّلاق تحمَّلتُ مشقَّة الاعتناء بالعجوز... حينها كان وكأنَّه يريدُ أن يُفضي بشيء، حدثَ ذلك عدَّة مرَّات... لكنَّ الكلامَ لم يُسعِفه أبداً... أحياناً أحلم به...
جيردا: وأنا كذلك، عندما أراه في أحلامي، يتراءى لي وهو في الثَّلاثين... إذ ينظرُ إليَّ بحنانٍ نظرةً ذات مغزًى... لكنِّي لا أعرف ما الذي كان يريد. بين تارةٍ وأخرى تظهرُ أمِّي معنا في الحلم، فلا يعاملُها أبي آنذاك معاملةً شرِّيرة... ذلك لأنَّه كان يحبُّها في المطاف الأخير... أتذكرُ كيف خاطبها برقَّة في عيد زواجهما، معبِّراً عن امتنانه على الرَّغم من كلِّ شيء...
ألإبن: على الرَّغم من كلِّ شيء يعني الكثير، ولكنَّه قليل في حدِّ ذاته.
جيردا: قولٌ جميل! على الرَّغم من كلِّ شيء، فهي قد أدَّت خدمةً كبيرة. لقد اعتنت بمنزلها.

 © Tous droits réservés

ألإبن: وهنا يكمنُ السُّؤالُ الأكبر؟
جيردا: ما الذي تقولُه؟
ألإبن: عند هذه النُّقطة تتَّفقون جميعاً، فقط عندما يتعلَّقُ الأمرُ بتدبير المنزل... تقفون جميعاً في جانبٍ واحد. كالماسونيَّة أو كعصابة السُّوء. حتَّى إنَّني مضيتُ أسالُ مارجريت التي أعتبرُها صديقةً لي، بشأن الأمور المنزليَّة، لقد سألتُها لا أدري لِمَ لا نأكل ملءَ بطونِنا؟ آنذاك لاذَت هذه الإنسانةُ الثَّرثارةُ بالصَّمتِ ومضت غاضبةً. هل لكِ أن تفسِّري هذا الأمر؟
جيردا: لا...
ألإبن: ها أنذا أسمعُ أنَّكِ أنتِ الأخرى ماسونيَّة!!
جيردا: لا أفهمُ ما تعني؟
ألإبن: أحياناً أتساءل، في ما لو كان أبي ضحيَّةً لعصابة السُّوء التي كان عليه أن يكتشفها؟
جيردا: أحياناً... تتحدَّث كرجلٍ مجنون.
ألإبن: أذكر أنَّ أبي كان يردِّدُ كلمة عصابة السُّوء كطُرفَة، لكنَّه أخيراً لاذَ بالصَّمت.
جيردا: يا له من بردٍ فظيعٍ هنا... إنَّه باردٌ كالقبر...
ألإبن: سأشعل بعض الحطب، وليحدث ما يحدث. (يلتقطُ الرِّسالة الممزَّقة دون اكتراثٍ في البدء، ثمَّ رويداً رويداً يبدأ بالقراءة بشكلٍ جدِّي) ما هذا؟ (بعد فترة) إلى ابني؟! بخطِّ أبي؟! (بعد فترة) ... لي إذاً... (يقرأ، ثمَّ ينهارُ على أحد المقاعد ويستمرُّ بالقراءة صامتاً)
جيردا: ماذا تقرأ، ما هذه؟
ألإبن: أمرٌ رهيب... (صَمت) إنَّه حقّاً لَرَهيب...
جيردا: أخبِرني، ما الذي يجري؟ (بعد برهة)
ألإبن: هذا أمرٌ رهيبٌ جدّاً... إنَّه خطابٌ من أبي المَيْت موجَّهٌ إليَّ!... (يُتابع القراءة) الآن بدأتُ أصحو من رقادي! (يُلقي بنفسه على الأريكة ويتلوَّى من الألم، لكنَّه يدسُّ الخطاب في جيبه)
جيردا (جاثمةً على الرّكبتَين): فردِريك، ما هذا؟ أخبرني، أخي العزيز، هل أنتَ مريض؟ قُلْ! قُلْ لي!؟
ألإبن (يتنقَّلُ من مكانه): لا أطيقُ العيشَ في هذا المنزل، أكثر من هذا.
جيردا: أخبِرني الآن!
ألإبن: هذا شيءٌ لا يُمكن تصديقُه! (يستعيدُ قواه، ينهض)
جيردا: ربَّما يكونُ الأمرُ غيرَ حقيقيّ.
ألإبن: أوه، كلاَّ، إنَّه لا يكذب وهو في قبره.
جيردا: ربَّما استحوذَتْ عليه خيالاتٌ مريضة!
ألإبن: يا لَعصابة السُّوء! أنتِ هنا ثانيةً؟ الآن سأقولُ كلَّ شيء... إسمَعي إذاً...
جيردا: يبدو لي وكأنَّني على علم بكلِّ شيء، لكنِّي، على الرَّغم من ذلك لا أريدُ أن أصدِّقَ ذلك.
ألإبن: لا تريدين تصديق ذلك! حسناً، فالأمر على هذا النَّحو: المرأة التي أعطتنا الحياة، ما هي إلاَّ سارقة خطيرة!
جيردا: لا...
ألإبن: لقد سرقت قسطاً من مصروف البيت واختلَقَت فواتيرَ مزيَّفة. كانت تشتري أردأ الأشياء وتختلقُ لها أغلى الأثمان... كانت تأكلُ وجباتِها في المطبخ في حين كانت تقدِّمُ لنا حساءً مخفَّفاً مع وجباتٍ ساخنة. كانت تستخلصُ من الحليب زبدتَه، لذلك أضحينا هكذا تعساء، مرضى وجياعاً. كانت تختلسُ من النُّقود المخصَّصة لشراء الحطب فصرنا نرتجفُ من البرد. وعندما اكتشف أبي

كلَّ هذه الأمور، حذَّرها من مغبَّة عملها، وقد وعدته بتحسين سلوكها، لكنَّها مضت في تحايُلها واختلاقاتها واستعمالها لمحلول الصُّويا والفلفل الأحمر.
جيردا: لا أصدِّقُ كلمةً ممَّا قلتَه.
ألإبن: عصابةُ السُّوء، وإليكِ الأسوأ! القذرُ الذي هو زوجُكِ - يا جيردا - لم يحبَّكِ قطُّ، بل إنَّه يحبُّ أمَّكِ!
جيردا: أوه...
ألإبن: عندما اكتشف أبي هذا الأمر، وبعد أن استدان رجلُك مالاً من أمِّي، أي أمِّنا، لجأ الوغدُ إلى تغطية اللُّعبة بطلب يدكِ. تلك كانت الضَّربات الكبيرة، وأمَّا التَّفاصيل فعليكِ أن تتخيَّليها بنفسك.
جيردا (تبكي ومنديلُها في يدها): كنتُ أعلمُ هذا في ما مضى، كنتُ أعلمُ كلَّ هذا، ولكن، على الرَّغم من ذلك، ما زلتُ لا أعرف شيئاً. إنَّه لَشيء لن يتصوَّرَه عقلي لأنَّه كان أكبرَ ممَّا أتصوَّرُه.
ألإبن: ولكن، ماذا بوسعِنا أن نعملَ لإنقاذكِ من هذا العار؟...
جيردا: سأرحل...
ألإبن: ولكن، إلى أين!
جيدرا: لا أعرف!
ألإبن: إذاً، علينا أن نتريَّثَ، ونراقبَ تطوُّرَ الأحداث.
جيردا: ليس بإمكان المَرء أن يعملَ شيئاً ضدَّ أمِّه، فهي مخلوقٌ مقدَّس.
ألإبن: كالشَّيطان!
جيردا: لا تنطقْ بمثلِ هذه الأشياء...
ألإبن: إنَّها ماكرة كالدَّبَّة، لكنَّ أنانيَّتَها تصيبُها بالعمى.
جيردا: دَعنا نرحلُ من هنا!
ألإبن: إلى أين؟ كلاَّ، دَعنا ننتظرُ ريثما يطردُها الوغد من المنزل. أُسكُتي... فالوغدُ قادم... جيردا، سنؤلِّفُ ائتِلافاً ماسونيّاً. سأُعطيكِ كلمة السِّرّ: "لقد ضربَكِ ليلة زفافكما".
جيردا: ذكِّرني بهذا دائماً، وإلاَّ فسأنسى ذلك. لي رغبةٌ جامحةٌ في نسيان ذلك.
ألإبن: حياتُنا مدمَّرة... لا شيءَ فيها مُشرِّف، لا شيءَ يستحقُّ الاحترام... النِّسيانُ ضربٌ من المحال. دَعنا إذاً نعيشُ كي نقوِّمَ حياتَنا وذكرى والدِنا...
جيردا: ونحقِّقَ العدالة.
ألإبن: بل قولي، الثأر. (يدخلُ الصِّهر)
جيردا (متظاهرةً): طابت أوقاتُكَ! هل كان اجتماعُكم مُمتعاً؟ هل حقَّقتُم شيئاً نافعاً؟
ألصِّهر: الاجتماعُ كان مؤجَّلاً.
جيردا: أقلتَ مُغلَقاً؟
ألصِّهر: قلتُ إنَّ الاجتماعَ كان مؤجَّلاً.
جيردا: وعليه هل ستدبِّر أمورَ المنزل منذ الآن؟
ألصِّهر: سلوكُكِ غريبٌ هذا المساء، لكنَّ فردِريك لا بدَّ وأن يكون حلوَ المَعشر.
جيردا: لقد لعبنا لعبة الماسونيَّة.
ألصِّهر: إحذرا منها.
ألإبن: إذاً، سنلعبُ لعبة عصابة السُّوء، أو لعبة الثَّأر للقتيل بدلاً من ذلك.
ألصِّهر (بضِيق): إنَّكما تقولان كلاماً مُبهَماً! ما الذي يجري؟ أسرار؟
جيردا: ألا تريدُ أن تطلعَنا على أسرارك؟ أليس كذلك؟ أو ربَّما ليست لك أسرار؟
ألصِّهر: ما الذي يجري هنا؟ هل كان ثمَّةَ أحد هنا؟

ألإبن: أنا وجيردا كنَّا نمارسُ لعبة تحضير الأرواح، وعلى أثرها زارَنا أحدُ الموتى.
ألصِّهر: ستكون النِّهايةُ وخيمةً ما لم تكفّي عن هذا المُزاح! وعلى الرَّغم من ذلك، يجبُ عليَّ أن أقولَ بأنَّ مزاجَك مرحٌ هذا المساء. إذ إنَّكِ تكونين عادةً مكتئِبَةً وحزينة (يقتربُ ليربِّتَ على خدِّها، لكنَّها تتراجعُ إلى الخلف) هل أنتِ مذعورةٌ منِّي؟
جيردا (تتملَّصُ منه): أبداً، هنالك أحاسيسُ تُشبهُ الذُّعرَ لكنَّها شيءٌ آخر. هنالك إيماءاتٌ أكثرُ تعبيراً من تعابير الوجه والتَّعبير عنه.
ألصِّهر (مجفَلاً، يعبثُ بالكتب المرصوفة على أحد الرُّفوف).
ألإبن (يبرحُ الكرسيَّ الهزَّازَ الذي يظلُّ يتأرجحُ حتَّى دخول الأم...) ها قد جاءت أمِّي ومعها الثَّريد.
ألصِّهر: أليسَ...
ألأمّ (تدخل، ترى الكرسيَّ الهزَّازَ وهو يتأرجح، تبدو مصعوقة، لكنَّها تستعيدُ هدوءَها): ...أترغبون في شيء من الثَّريد؟
ألصِّهر: كلاَّ، شكراً... إذا كان ذلك ثريدَ الشُّوفان فألق به لكلاب الصَّيد إن كنتِ تملكين بعضاً منها. وإذا كان ذلك ثريداً معجَّناً فكَمِّدي به دماملَكِ...
ألأمّ: نحن فقراء وعلينا أن نقتصدَ...
ألصِّهر: لا يُـعتبرُ المَرء فقيراً إذا كان يملكُ عشرين ألفاً.
ألأمّ: بلى، طالما يذهبُ المالُ في قروضٍ لا تُـسدَّد.
ألصِّهر: ماذا؟ هل جُـنَّ الولد؟
جيردا: كلاَّ، ولكن ربَّما في طريقه إلى ذلك.
ألأمّ: هل أنتم قادمون؟
جيردا: تعالوا، لندخل، الشَّجاعة أيُّها السَّادة، سأعطيكم لحماً مقليّاً وفطيرة.
ألأمّ: ما هذا؟
ألصِّهر: ثمَّة لغزٌ في الأمر!
ألأمّ: أعتقدُ ذلك.
جيردا: تفضَّلوا أيُّها السَّادة! (يتوجَّهُ الجميع نحو الباب)
ألأمّ (للصِّهر): أرأيتَ الكرسيَّ الهزَّازَ وهو يتأرجح؟ كرسيّه هو؟
ألصِّهر: كلاَّ، لم أرَه، لكنِّي رأيتُ شيئاً آخرَ.
(السِّتارة)
***

الدِّيكور نفسُه. تُعزفُ موسيقى فالس، جيردا جالسةٌ تقرأ كتاباً.

ألأمّ (تدخل): هل تذكرين هذا النَّغم؟
جيردا: الفالس؟ أجل...
ألأمّ: الفالس الذي كان يُعزَفُ يومَ زفافكِ والذي رقصتِ على أنغامِه حتَّى طلوع الفجر.
جيردا: زفافي انا؟... أين آكسِل؟
ألأمّ: وما شأني به؟
جيردا: هكذا، أنا إذاً، هل تشاجرتما؟ (صَمت، يتبادلان النَّظر)
ألأمّ: ماذا تقرأين يا بنيَّتي؟
جيردا: كتاباً حول الطَّبخ، ولكن، لمَ لم يُذكر في الكتاب الزَّمنُ الذي يستغرقُه الشَّيء لكي يتمَّ طبخُه؟
ألأمّ (بِتَردَّد): حسناً، فالأمرُ يختلفُ من شخصٍ إلى آخر، بحَسَب الاختلاف في الأذواق... هنالك مَن يطبخُ بطريقة تختلفُ عن طريقة شخصٍ آخر.
جيردا: هذا ما لا أفهمُه أنا. إنَّ وجبة الطَّعام يجبُ أن تقدَّمَ بعد الطَّهي مباشرةً وإلاَّ فهي وجبةٌ مُسَخَّنَة، وبالتَّالي فهي وجبةٌ غيرُ طازجة. أمسِ مثلاً حين كنتِ تَقلين لحمَ طائر الطَّيهوج، إستغرقَ القَليُ ثلاثَ ساعات. ففي السَّاعة الأولى انبعثت من الصَّيد البرِّيِّ رائحةٌ لذيذةٌ عمَّت أرجاءَ المنزل، بعدها خيَّم الهدوء على المطبخ. وعندَّما قُدِّمَ الطَّائر مطبوخاً كان يفتقدُ إلى تلك النَّكهة وصار لا طعمَ له كالهواء. هل بإمكانكِ أن تفسِّري ذلك؟
ألأمّ (مُرتَبِكَة): لا أفهمُ ذلك.
جيردا: هل بإمكانكِ أن تفسِّري سببَ عدم وجودِ المَرَق في وجبة الطَّعام؟... أين اختفى المَرَق؟... مَن الذي التهَمَه؟
ألأمّ: ليست لديَّ أدنى فكرة.
جيردا: لقد سألتُكِ عدَّة أسئلة، إستخلصتُ منها أموراً عديدة...
ألأمّ (تقاطعُها): أعلمُ كلَّ هذا ولا حاجة لك إلى تعليمي شيئاً. وأمَّا أنا فسأعلّمك فنَّ تدبير أمور المنزل.
جيردا: تعنين بذلك كيفيَّة استعمال فول الصُّويا والفلفل الأحمر! هذا ما تعلَّمتُه سلفاً، وقد تعلَّمتُ أيضاً كيفيَّة اختيار الأطباق غير الشَّهيَّة في الولائم، لينصرفَ المدعوُّون عنها، فتبقى لكي تُسَخَّنَ في اليوم الثَّاني. وتعلَّمتُ أيضاً إقامة الولائمَ حين تكون خزانةُ الأطعمة حافلةً بنفايات الأطعمة. لقد تعلَّمتُ كلَّ هذا سلفاً... وعليه، فبمقدوري منذ اليوم أن أتحمَّلَ مهمَّة تدبير أمور المنزل.
ألأمّ (غاضبة): أتريدينني أن أكونَ خادمةً لكِ؟
جيردا: سأكون خادمتكِ، وستكونين خادمتي، ستُعاونُ إحدانا الأخرى. ذا هو آكسِل قادم.
***

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

ألصِّهر (يدخلُ وفي يده عكاز غليظة): حسناً، كيف تجدين الأريكة؟
ألأمّ: أوه... لا بأسَ بها...
ألصِّهر (مُهدِّداً): ألا ترَينَها مناسبة؟ هل ثمَّة نقصٌ فيها؟
ألأمّ: ها أنذا الآن بدأتُ أفهم!!
ألصِّهر: هكذا... ومع ذلك، وبما أنَّنا لا نأكلُ ملءَ بطوننا في هذا المنزل، فسوف نُعِدُّ أنا وجيردا طعامَنا بأنفسنا.
ألأمّ: وأنا؟
ألصِّهر: إنَّكِ بدينةٌ بحجم البرميل، وعليه فلا تحتاجين للكثير من الطَّعام. ولأجل صحَّتِكِ يلزمكِ أن تخفِّفي من وزنكِ قليلاً، كما فعلنا نحن... وأمَّا أنتِ يا "جيردا"، فبإمكانكِ أن تخرجي للحظة، بينما تقوم هي بإشعالِ النَّار في المدفأة. (تخرجُ جيردا)
ألأمّ (ترتعشُ من الغضب): هنالك حطبٌ في المدفأة.
ألصِّهر: كلاَّ، ليس هنالك حطب، إنَّها بضعة عيدان لا غير. والآن عليكِ أن تجلبي بعض الأخشاب... ملءَ المدفأة تماماً.
ألأمّ (تتلكَّأ): أتريدني أن أحرقَ نقودي؟
ألصِّهر: كلاَّ، لكنَّ الحطبَ يجبُ أن يحرقَ كي نشعرَ بالدِّفء... أسرعي.
ألأمّ (تتلكَّأ).
ألصِّهر: واحد، إثنان، ثلاثة (يضربُ الطَّاولة بعكازه).
ألأمّ: أظنُّ أنَّ الحطبَ قد نفد.
ألصِّهر: إذاً فالأمرُ واحدٌ من اثنَين: إمَّا إنَّكِ تكذبين أو إنَّكِ سرقتِ النُّقود... لأنَّنا اشترَينا كمِّيَّةً من الحطب أوَّلَ من أمس.
ألأمّ: الآن بدأتُ أعرفُ أيُّ إنسانٍ أنتَ.
ألصِّهر (يجلسُ على الكرسيِّ الهزَّاز): كان من الممكنِ أن تعرفي هذا منذ أمدٍ طويل، لولا انخداع شبابي بعمركِ وخبرتِك. هيَّا، أسرعي واحضِري الحطب، وإلاَّ... (يرفعُ العكاز)
(تخرجُ الأمُّ وتدخلُ ثانيةً وهي تحملُ حطباً)
ألصِّهر: الآن توقدين المدفأةَ تماماً، دون أن يكونَ ذلك لمجرَّدِ التَّظاهرِ بالأمر... واحد، إثنان، ثلاثة؟
ألأمّ: لَكَم تشبهُ زوجي الآن، وأنتَ تجلسُ هناك على كرسيِّه الهزَّاز.
ألصِّهر: أشعِلي النَّار!!
ألأمّ (بخضوع، لكنَّها ما زالت غاضبة): سأفعل... سأفعل.
ألصِّهر: والآن ستراقبين النَّار بينما نجلسُ هناك في غرفة الطَّعام، حيث نتناولُ عشاءَنا.
ألأمّ: وماذا بشأني أنا؟
ألصِّهر: سوف تتناولين الثَّريدَ الذي أعدَّته لك جيردا، هناك في المطبخ.
ألأمّ: مع الحليب الفاقع...
ألصِّهر: الحليبُ ذاتُه الذي استخلصتِ منه الزُّبدةَ، وهذا بالطَّبع أمرٌ صحيحٌ وعادل.
ألأمّ (بصوتٍ مخنوق): غداً سأرحلُ من هنا...
ألصِّهر: إيَّاكِ أن تحاولي، وإلاَّ لأحتجزتُكِ.
ألأمّ (تهمس): إذاً سأُلقي بنفسي من النَّافذة...

ألصِّهر: لكِ أن تفعلي ذلك إن شئتِ... كان عليكِ أن تفعلي ذلك منذ أمدٍ بعيد. حينَها لَكنتِ أنقذتِ حياةَ أربعةِ أشخاصٍ! أضرمي النَّار... أنفُخي في النَّار... هكذا! دَعْكِ جالسةً هنا حتَّى عودتِنا. (يخرُج)

***

بعد برهة، توقفُ الأمُّ الكرسيَّ الهزَّار، تنصتُ عند الباب، تلتقطُ بعض الأخشاب من المدفأة وتخفيها تحت المكتب. يدخلُ الإبنُ وهو ثَمِلٌ بعض الشَّيء.

ألأمّ: أهذا أنت؟
ألإبن (يجلسُ في الكرسيِّ الهزَّاز): نعم...
ألأمّ: كيف حالُك؟
ألإبن: سيِّئ، أرى أنَّ نهايتي قريبة.
ألأمّ: مجرَّد أوهام... دَعكَ من التَّأرجح هكذا. أنظُر إليَّ كما أنا عليه. حسناً، لستُ بشابَّة، وعلى الرَّغم من ذلك فقد قضيتُ عمراً من الكدِّ والعمل المُضنِيَين وفي أداء الواجبات من أجل أطفالي وبيتي، أليس كذلك؟
ألإبن: إيه... والبَجَعَةُ التي لم تمنَحْ صغارَها دمَ قلبها أبداً... لقد أثبتَ عِلمُ الحيوان بطلانَ هذا الزَّعم.
ألأمّ: هل هناك ما تَشكو منه، قُلْ لي.
ألإبن: إسمَعي يا أمَّاه، لو كنتُ في حالة صَحو لما تيسَّرَ لي أن أكون صريحاً معكِ، ذلك لأنَّ قوايَ كانت ستخونُني آنذاك، ولكنِّي الآن سأخبرُكِ بأنَّني قرأتُ رسالة أبي التي سرقتِها أنتِ بنفسك ورميتِ بها إلى المدفأة.
ألأمّ: عمَّ تتحدَّث؟ أيَّة رسالةٍ تعني؟
ألإبن: تكذبين دائماً! أتذكرين كيف علَّمتِني على الكَذِب أوَّلَ مرَّة؟ كنتُ بالكاد بدأتُ الكلام، هل تذكرين؟
ألأمّ: لا، لا أتذكَّرُ شيئاً بالمرَّة، دَعكَ من التَّأرجح هكذا.
ألإبن: وهل تتذكَّرين كيف كذبتِ عليَّ لأوَّل مرَّة؟ فأنا أتذكَّرُ أيضاً عندما كنتُ طفلاً، إختفيتُ ذات مرَّة تحت البيانو حين جاءت امرأةٌ عجوزٌ تزورُك، رُحتِ تكذبين ثلاث ساعات، وكان عليَّ الاستِماعُ إلى كلِّ...
ألأمّ: كَذِب...
ألإبن: وهل تعرفين لِمَ أنا سَقيمٌ على هذا النَّحو؟ أنا لم أرضَعْ أبداً حليبَ الأمّ، كنتُ بعهدة إحدى المربِّيات، وكان عليَّ أن أرضعَ من قنِّينة. وحينما كبرتُ قليلاً، صرتُ أرافقُها إلى منزل أختها التي كانت تتعاطى الدَّعارة، حيث رأيتُ مشاهدَ حافلةً بالأسرار يستبيحُها للصِّغار مُرَبُّو الكلاب فقط، وذلك في مواسم الشِّتاء والخريف وفي الهواء الطَّلق. حين أخبرتُكِ بكلِّ ما شاهدتُ في دار الدَّعارة تلك، كنتُ آنذاك في الرَّابعة فقط من عمري، لكنَّك كنتِ تتَّهمينَني بالكَذِب، وكنتِ تُنزلين بي قصاصاً لكوني أكذب، على الرَّغم من أنِّي كنتُ أقولُ الحقيقة ليس إلاَّ. هذه الخادمة التي حظِيَت بتشجيعك وموافقتِك مضت تُطلعُني على كلِّ الأسرار، وأنا لم أزَل في الخامسة... (يبدأ بالنَّشيج) وهكذا بدأتُ أعاني من الجوع والبرد، ومثلي في ذلك كمثل أبي والآخرين. الآن بدأتُ أدركُ بأنَّكِ كنتِ تختلِسين مصاريفَ البيت والنُّقودَ المخصَّصة لشراء الحطب. أنظُري في وجهي، أيَّتها البَجَعَة، أنظُري إلى جيردا بصَدرِها الضَّامِر. وأمَّا كيف قتلتِ أبي، فأنتِ تعلمين ذلك جيِّداً، إذ

 © *Tous droits réservés*

أخذتِ تدفعين به إلى اليأس شيئاً فشيئاً، وهذه جريمةٌ لا تخضعُ لعقاب القانون. وأمَّا كيف قضيتِ على حياة شقيقتي، فهذا ما تُدركينه أفضلَ من أيِّ شخصٍ آخر، وجيردا صارَتْ تعرفُ ذلك الآن أيضاً.
ألأمّ: توقَّف عن التَّأرجح!! ما الذي تعرفُه جيردا؟
ألإبن: ما تعرفينه أنتِ أيضاً... لكنَّني لا أقوى على قول شيء. (ينشج) إنَّه لأمرٌ رهيبٌ أن أتفوَّهَ بكلِّ هذا، ولكن، يتحتَّمُ عليَّ ذلك. ثمَّة هاجسٌ يُنبئُني بأنَّني سوف أُطلقُ النَّارَ على نفسي ما إن أصحو. وعليه، سوف أشربُ وأشربُ خوفاً من الصَّحو.
ألأمّ: ها قد أخذتِ تتمادى في الكَذِب.
ألإبن: قال أبي ذات مرَّة وهو في سَورة غَضَبٍ بأنَّكِ أكبرُ محتالةٍ على الطَّبيعة. وأنتِ طفلة بدأتِ تتعلَّمين الكَذِبَ أوَّلاً، وقبل أن تتعلَّمي النُّطق. ثمَّ إنَّكِ كنتِ دائماً تتملَّصين من واجباتكِ بغية توفير المزيد من الوقت لمُتعتكِ الشَّخصيَّة. وعندما وقعتْ جيردا طريحة الفراش، وكانت من الموت قابَ قوسَين أو أدنى، أتذكَّرُ أنَّكِ كنتِ ذات مساءٍ تُشاهدين عرضاً من عروض الأوبِّرِتّ. ما زلتُ أتذكَّرُ قولك "الحياةُ أثقلُ عِبئاً من أن نزيدَها عِبئاً". في صيف ذلك العام كنتِ مع أبي في باريس تستمتعين وتصرفين ببَذخٍ لثلاثة أشهرٍ بأكملها حتَّى أثقَلتِ كاهِلَنا بالدُّيون. فاضطُرِرْتُ أنا وجيردا أن نعيشَ هنا في المدينة، في سجنٍ مع خادمتَين، هنا في هذا المنزل. وفي غرفة نوم أبي كان يسكنُ أحدُ رجال الإطفائيَّة مع خادمة البيت. كان هذان الزَّوجان الحَميمان يستعملان فراشكَما الزَّوجيّ.
ألأمّ: لِمَ لم تُخبِرني بذلك في حينه؟
ألإبن: ها قد نسيتِ أنَّني أخبرتُكِ بذلك في حينه، وقد أنزلتِ بي قصاصاً لأنَّكِ كنتِ تتَّهمينني بالنَّميمة تارةً، وبالكَذِب تارةً أخرى، لأنَّكِ ما إن تسمَعي كلمة حقٍّ حتَّى تَصفِيها بالكَذِب.
ألأمّ (تدورُ في الغرفة كفَريسةٍ متوحِّشَةٍ وقعَت في الفخّ): لم أرَ أبداً إبناً يُخاطبُ أمَّه بمِثل هذا.
ألإبن: حسناً، فهذا غيرُ مألوفٍ ويُناقضُ الطَّبيعة. أعلمُ هذا، ولكن كلَّ هذا يجبُ أن يُقالَ ولو لمرَّةٍ واحدة. لقد كنتِ تحومين وكأنَّكِ غارقةٌ في نومٍ لم يكُن بالوسع إيقاظُكِ منه، لذلك فقدِ استحالَ عليكِ تغييرُ وَضعِك. قال أبي ذات مرَّة "إنَّكِ لو أُكرهتِ على الاستِلقاء على منصَّة التَّعذيب فلن تُقرِّي بأخطائك أو تعترفي بأنَّكِ كنتِ تكذبين"...
ألأمّ: أبوك! أتُراهُ كان مَعصوماً من الخطإ؟
ألإبن: لقدِ اقترفَ أبي أخطاءً فادحة! لكن، ليس بحقِّ زوجته وأطفاله... هناك أسرارٌ أخرى في حياتكِ الزَّوجيَّة كانت موضعَ الشَّكِّ والرِّيبة بالنِّسبة إليّ، ولكنِّي لم أجروء على نَبشها. لقد كان أبي يكتمُ بعضاً من هذه الأسرار التي حملَها معه إلى القبر. أعتي بعضاً منها.
ألأمّ: هلِ انتهيتَ الآن من حديثك؟
ألإبن: سأخرجُ الآن كي أشرب... لن يكونَ بوسعي أبداً أن أنالَ الشَّهادةَ الجامعيَّة، فإنِّي لم أعُدْ أومنُ بالعدالة... وأمَّا القوانين فيبدو لي أنَّها مُشرَّعةٌ من قِبَل لصوصٍ وقتَلَةٍ لتبرئة المُجرمين، إذ لا يُقبَلُ بالإنسان الصَّادق كشاهد عِيان، لكنَّ اثنين من شهود الزُّور يكفيان للإثبات والبَتِّ في الأمر. عند السَّاعة الحادية عشرة والنِّصف أكونُ قد ربحتُ قضيَّةً قانونيَّةً. وأمَّا عند الثَّانية عشرة فقضيَّتي خاسِرَة... لخطإٍ في الإملاء... الافتِقارُ إلى إحدى الملاحظات المدوَّنة على الحاشية يكفي كي يُزَجَّ بي أنا البريءَ إلى السِّجن. فلو أنِّي ساعدتُ وَغداً بدافع الشَّفقة لانتقمَ منِّي مُستَعملاً سلاحَ التَّشهير ضدِّي. إنَّ احتقاري الحياةَ، الإنسانيَّة، المجتمعَ، نفسي بالذَّات، لا حدودَ له، بدرجة أنِّي لا أجدُ جدوًى في العَيش. (يتَّجهُ نحو الباب)
ألأمّ: لا تنصَرِف.

ألإبن: أتخافين الظُّلمة؟
ألأمّ: أنا متوتِّرة الأعصاب.
ألإبن: هذا أمرٌ يتناسبُ والحالة هذه.
ألأمّ: وهذا الكرسيُّ يحمِلُني على الجنون. لقد كان دائماً كسكّينَين يقطعان قلبي إرَباً، عندما كان يجلسُ هناك.
ألإبن: إن كان لكِ قلب...
ألأمّ: لا تذهب، فأنا لا أطيقُ البقاءَ هنا... إنَّ "آكسِل" وَغد.
ألإبن: كنتُ على هذا الرَّأي لحين هذه اللَّحظة، ولكنِّي أراه الآن ضحيَّةٌ من ضحايا ميولكِ الإجراميَّة فحَسب. أجل، لقد كان "آكسِل" ذات يومٍ شابّاً تمَّ إغواؤه.
ألأمّ: يتراءى لي أنَّك صاحبتَ أصدقاءَ السُّوء.
ألإبن: أصدقاء السُّوء؟ أجل، فإنا لم أصاحِبْ إلاَّ أناساً سيِّئين.
ألأمّ: لا تذهَب!
ألإبن: ماذا بوسعي أن أفعلَ هنا؟ أودُّ لو بقيتُ هنا كي تموتي من فرط العذاب الذي يوقِعُكِ بي كلامي.
ألأمّ: لا تذهَب!
ألإبن: هل بدأتِ تصحين الآن؟
ألأمّ: أجل، بدأتُ أصحو، وكأنِّي أستيقظُ من سُباتٍ عميق، جدِّ عميق. إنَّه لأمرٌ مُفزِعٌ لِمَ لَم يُحاول أحدٌ إيقاظي من قَبل؟
ألإبن: لم يكُن ذلك بمقدور أحدٍ كما أعتقد، وعليه فلستِ بمُذنبَة...
ألأمّ: رَدِّد هذا القولَ ثانيةً!
ألإبن: لم يكُن بوسعكِ أن تكوني غير ما كنتِ عليه.
ألأمّ (تقبِّلُ يدَه بخضوع): إمضِ في حديثك...
ألإبن: لا أقوى على الكلام أكثر من هذا... بلى... لي رجاءٌ واحد، بارِحي هذا المكان وإلاَّ فستسيرُ الأمورُ نحو الأسوإ...
ألأمّ: إنَّك على حقّ!! أنا ذاهبة.
ألإبن: يا لَشقاء أمِّي!
ألأمّ: أتُشفقُ عليّ؟
ألإبن (ينتحِب): حقّاً إنَّني لأشفقُ عليكِ. لَطالما قلتُ عنكِ إنَّكِ شرِّيرةٌ، وإنِّي لأشعرُ بالإشفاق عليكِ.
ألأمّ: شكراً على ذلك. فردِريك، إنصرفِ الآن.
ألإبن: هل هناك سبيلٌ آخر؟
ألأمّ: كلاَّ، ليس هناك أيّ مخرَج؟
ألإبن: أجل، هذا صحيح، ليس هناك سبيلٌ آخر. (يخرجُ بعد برهة)
***

ألأمُّ وحدَها تطوي ذراعَيها على صدرها لفترة طويلة، ثمَّ تتَّجه نحو النَّافذة وتفتَحُها، تنظرُ بعيداً من خلالها، تتراجعُ بعد وهلةٍ إلى الغرفة حيث تأخذُ مسافة عدَّة خطواتٍ استعداداً للقفز، لكنَّها تعدلُ عن قرارها حين تسمعُ ثلاثَ طرقات على الباب الخلفي.

ألأمّ: مَن هناك؟ ما الذي يجري؟ (تُغلق النَّافذة) أدخُل! (يُفتَحُ الباب الخلفي) هل هناك أحد؟ (يُسمعُ صوتُ فردِيريك وهو يهدرُ بالبكاء) إنَّه نفسُه، وهو يعدو في حقل التَّبغ، ألم يكن مَيْتاً؟ ماذا عسايَ أن أفعلَ! أين المَفَرّ؟ (تختفي خلفَ المكتب - الرِّياحُ تهبُّ ثانيةً، حيثُ تتناثرُ الأوراق في أرجاء الصَّالة) فردِريك، أغلِقِ النَّافذة. (تسقطُ إحدى المزهريَّات على الأرض بفِعل الرِّيح) أغلِقِ النَّافذة، أكادُ أموتُ من البَرد. فالنَّار في المدفأة أخذت تخبو... (تولِعُ جميع المصابيح الكهربائيَّة، تُغلقُ الباب الذي ينصفقُ ثانيةً، الكرسيُّ الهزَّاز يتأرجحُ ثانيةً بفِعل الرِّيح، تدورُ الأمُّ في حركةٍ دائريَّةٍ في أرجاء الغرفة، ثمَّ تُلقي بنفسها على الأريكة وتُخفي وجهَها في الوَسائد).

***

فالس Il me disait يُسمعُ في الخارج.

ألأمُّ في وضعيَّتها السَّابقة على الأريكة ورأسُها مطمورٌ في الوسائد - تدخلُ جيردا ومعها الثَّريد على صينيَّة، تضعُ الصَّينيَّة وتطفئُ المصابيحَ باستثناء واحد.
ألأمُّ (تستفيقُ وتنهضُ واقفة) : لا تُطفِئي المصابيح...
جيردا: هكذا! علينا أن نقتصدَ.
ألأمّ: أعُدتِ بهذه السُّرعة؟
جيردا: أجل، فآكسِل لم يَجد ذلك ممتعاً طالما أنَّكِ لم تكُني معنا.
ألأمّ: شكراً على ذلك.
جيردا: هذا عشاؤكِ.
ألأمّ: لستُ جائعة.
جيردا: بلى، إنَّكِ جائعة، لكنَّكِ لا ترغبين في الثَّريد.
الأمّ: بلى، أحياناً.
جيردا: كلاَّ، أبداً. ولكن ليس لأنَّكِ كنتِ جائعة، بل لأجلِ ابتسامتكِ الشِّريرة التي كنتِ تعذِّبيننا بها... عندما كنتِ تتناولين ثريد الشُّوفان، فقد كنتِ تجدين لذَّةً في شقائنا، وكنتِ تطبخين الثَّريدَ نفسَه لكلاب صيدِك.
ألأمّ: هذا لأنِّي لا أقوى على تناولِ الحليب المجفَّف، فأنا أشعرُ بالبرد بعد تناوله.
جيردا: بعد أن أخذتِ على الحليب قشدتَه لقهوتك في الصَّباح، تفضَّلي... وافعَلي به ما تشائين. (تقدِّمُ لها الثَّريدَ على مائدةٍ صغيرة) والآن دَعيني أراكِ وأنتِ تأكلين!
ألأمّ: لا أستطيعُ ذلك.
جيردا (تَنحني وتلتقطُ بعضَ الحطبِ من تحت الأريكة) إن لم تأكلي فسوف أنبِئُ آكسِل بأنَّكِ كنتِ تسرقين حطباً.
ألأمّ: آكسِل الـذي احتـرقَ اشتياقـاً إلـيَّ!! لـن يعاملَنـي بقسوة. أتتذكَّريـن كيـف كان يراقصُني في حفلةِ زفافك على أنغام "Il me disait" أتسمعين ذلك! (تُدَندِنُ بالمقطع الثَّاني الذي يُعزف في الخارج...)
جيردا: إنَّه لمِن الحشمة لو كَفَفْتِ عن ذكر فضائحِك.
ألأمّ: ... ولقد تلقَّيتُ قصائد!... وأجملَ الورود...

 © Tous droits réservés

جيردا: صه...!
ألأمّ: هل أقرأ بعضاً من تلك القصائد؟ إنّني أحفظُها عن ظهر قلب. في جنستان: جنستان كلمة فارسيَّة تعني حديقة الجنَّة، هناك حيث تعيش بري العذبة، الحوريَّة ذات الرَّوائح العطِرة... وبري، أي الجنِّيَّة أو الحوريَّة مخلوقة على درجةٍ من الفتنة حيث تزدادُ جمالاً كلَّما تقدَّم بها السنُّ...
جيردا: يا إلهي... هل تظنِّين نفسكِ حوريَّة؟
ألأمّ: أوه... كلاّ، هذا ما جاء في القصيدة فحَسب. أجل... والعمُّ فِكتور طلبَ يدي للزِّواج... ماذا لو كنتُ قد قلتُ نعم!
جيردا: مسكينة أنتِ يا أمِّي... ما زلتِ تسيرين وأنتِ نائمة... مثلنا بالضَّبط... ولكن، ألا تصحَين ابداً؟ أما ترَين كيف أنَّنا نسخرُ منكِ؟ ألا تفهمين ازدراءَ آكسِل لكِ؟
ألأمّ: إزدراؤه لي؟ أظنُّ أنَّ آكسِل يكونُ دائماً أكثرَ لطفاً معي منه معكِ.
جيردا: وحتَّى عندما رفعَ العكازُ بوجهك؟
ألأمّ: بوجهي؟ لقد رفعَه بوجهك يا عزيزتي!!
جيردا: أمَّاه، هل فقدتِ صوابَكِ؟
ألأمّ: كان يحترقُ اشتياقاً إلى صحبتي في المساء... فنحنُ لدينا الكثير لنقولَه لبعضِنا. إنَّه الشَّخصُ الوحيدُ الذي يفهمُني، وأمَّا أنتِ فمجرَّدُ طفلة.
جيردا (تُمسكُ بأمِّها من الكَتِف وتهزُّها): أصحي... أحلِّفُكِ باللّه...
ألأمّ: لا تزالين غيرَ ناضجةٍ تماماً. لكنِّي أنا أمُّكِ التي أرضعَتْكِ دمَها...
جيردا: كلاَّ، لقد أضعَتِني من قنِّينةٍ زجاجيَّةٍ ذات حلمةٍ مطَّاطيَّة. بعدها تعوَّدتُ السِّرقة من خزانة الأطعمة، وعلى الرَّغم من ذلك فلم يكُن هنالك شيء يُمكنُ التهامُه، باستثناء
الخبز الأسود اليابس الذي كنتُ أتناولُه مع الخَردل، وعندما كنتُ أصابُ بالاحتراق في بلعومي كنتُ أرطِّبُه بشيءٍ من الخَلّ... كانت سلَّةُ الخبز وطعمُ التَّوابلِ المرصوفةِ على المائدة بمثابة خزانة الأطعمة لي...
ألأمّ: هكذا إذاً... لقد كنتِ تسرقين وأنتِ طفلة؟ شيءٌ جميل، وأنتِ لا تخجلين من التَّحدُّثِ عن فِعلتِك تلك... تَصوَّري!! لقد ضحَّيتُ بنفسي من أجلِ أطفالٍ من أمثالِك!!
جيردا (تبكي): كنتُ سأغفرُ لكِ كلَّ شيء، أمَّا وأنَّكِ سَلبتِني حياتي، فلا... لقد كان آكسِل حياتي لأنَّني معه بدأتُ أعيش.
ألأمّ: ليس الذَّنبُ ذنبي أنا إن كان يفضِّلُني عليكِ!! ربَّما وجدَني "كيف أقولُ ذلك..." أكثرَ سِحراً. أجل لقد كان ذوقُه أفضلَ من ذوقِ أبيكِ الذي لم يكُن يقدِّرُني حقَّ قدري، حتَّى ظهر له منافسون. (ثلاث خبطات على الباب) مَنِ الطَّارق؟
جيردا: إيَّاكِ أن تذكري أبي بسوءٍ، فحياتي كلَّها لا تكفي للتَّكفير عن الشَّقاء الذي سبَّبْتِه له. وأمَّا أنتِ فعليكِ أن تدفعي ثمنَ ذلك بما أنَّكِ كنتِ تحرِّضينني ضدَّه! هل تذكرين حين كنتُ طفلةً صغيرة، فقد كنتِ تعلِّمينني كلاماً شرِّيراً لاذِعاً أجهلُ فَحواه. كان أبي حصيفاً بما فيه الكفاية فلم يعاقِبني على السِّهم المارق. لأنَّه كان يدركُ مَن الذي شدَّ القوسَ ضدَّه. أتتذكَّرين كيف كنتِ تعلِّمينني الكَذِب عليه بالتَّظاهر بأنِّي بحاجة إلى كتبٍ مدرسيَّة جديدة؟ أو عندما قُمنا بالاحتيال عليه... "أنا وأنتِ" بغية الحصول على النُّقود وتقسيمها في ما بيننا؟ هل يُعقَلُ أن أنسى ما جرى في الماضي؟ هل هناك خمرٌ يخمدُ الذَّاكرة دون أن يخنقَ الحياة؟ لو كنتُ أملكُ القوَّةَ كي أدفعَ بكلِّ هذا خارجاً! لكنِّي أنا وكذلك فردِريك ضحيَّتان لا سلطانَ لهما ولا إرادة... من ضحاياكِ أنتِ... أنتِ المرأة التي لا تمتلكُ الجرأةَ لكي تعانيَ من جرَّاء جرائمها...

ألأمّ: أتعرفين شيئا عن طفولتي؟ أتدركين في أيِّ بيتٍ سيِّئ ترَعرَعت؟ هل بإمكانكِ أن تتخيَّلي أيَّ شرٍّ تعلَّمتُ هناك؟ إنَّ الأمرَ يبدو وراثيّاً من الأعلى إلى مَن؟ ينحدرُ من الآباءِ الأوَّلين كما جاء في كتاب الطُّفولة، والأمر يبدو صحيحاً... إذاً لا تلوميني أنا، وبدوري لن ألـومَ والـديَّ اللَّذين لربَّما كانا يلومان والديهما، وهكذا... بالمناسبة فالأمرُ على هذا النَّحو في كلِّ الأسَر، على الرَّغم من أنَّ الأمرَ لا يظهرُ واضحاً للغرباء...

جيردا: إذا كان الأمرُ على هذا النَّحو فلستُ أرغبُ في العيش، وإذا أرغمتُ على ذلك، فبودِّي أن أسيرَ عمياء صمَّاء خلال هذا الشَّقاء، ولكن بانتظار حياةٍ أفضلَ بعدَ ذلك.

ألأمّ: إنَّكِ تبالغين في ذلك يا عزيزتي، فما أن تُنجبي طفلاً حتَّى تبدأين بالتَّفكير بأشياءَ أخرى...

جيردا: لن يكونَ بوسعي أن أُنجبَ.

ألأمّ: كيف عرفتِ ذلك؟

جيردا: الطَّبيبُ بيَّنَ لي ذلك.

ألأمّ: إنَّه على خطإٍ...

جيردا: ها قد بدأتِ تكذبين ثانيةً... إنِّي عاقر، وأمَّا فردِريك فعَقيم، ولهذا بالذَّات لا أريدُ أن أعيشَ...

ألأمّ: هُراء...

جيردا: لو كنتُ أقدرُ على الإتيان بعملٍ شرِّيرٍ لما تركتُكِ تبقَين على قيدِ الحياة! لماذا صعبٌ هو اقترافُ عملٍ شرِّير؟ ما إن أرفعُ يدي كي أضربَكِ حتَّى أشعُرَ بأنِّي أضربُ نفسي آنذاك...

(تتوقَّفُ الموسيقى فجأة، يُسمعُ صوت الإبن وهو يوَلوِل)

ألأمّ: إنَّه ثَمِلٌ ثانيةً...

جيردا: مسكينٌ فردِريك، أجل، ماذا بوسعه أن يفعلَ؟

ألإبن (داخلاً وهو شِبهُ سكران): ...أعتقدُ أنَّ هناك دخاناً في المطبخ.

ألأمّ: ماذا تقول؟

ألإبن: أظنُّ ... أنَّ هناك شيئاً يحترق...

ألأمّ: يحترق؟ ماذا تقول؟

الإبن: أجل، يبدو أ... أنَّ شيئاً يحترق...

ألأمّ (تُهَرولُ نحو العمق وتفتحُ الأبواب، لكنَّها تواجهُ لهيباً أحمر): ... نيران... كيف... يمكنُنا الخروج! لا أريدُ أن أحترق... لا أريد... (تدورُ حول نفسها)

جيردا (تأخذُ أخاها بين ذراعَيها): فردِريك! أهرُب، النِّيران فوقنا!!... أهرُب!

ألإبن: لا أقوى على ذلك!

جيردا: أهرُب!... يجبُ أن تهرُب!

ألإبن: إلى أين؟ لا... لا أريد...

ألأمّ: بودِّي لو أقفزُ من النَّافذة (تفتحُ بابَ الشُّرفة وتقفزُ نحو الخارج).

جيردا: أوه... يا إلهي... أنقِذنا!

ألإبن: كان هذا هو الحلُّ الوحيد..

جيردا: هل أنتَ الذي أضرمَ النَّار؟

ألإبن: نعم، وماذا كان بوسعي أن أفعل؟ لم يكن هنالك حلٌّ آخر... أليسَ كذلك؟

 © Tous droits réservés

جيردا: كلاَّ، لم يكن هنالك حلٌّ آخر... يجب أن يحترقَ كلُّ شيء، وإلاَّ فلن نخرجَ من هنا! فردِريك، خُذني بين ذراعَيك، ضُمَّني بعُنف... أخي العزيز! إنَّني سعيدةٌ سعادةً لم أشعُر بها أبداً من قبلُ، النُّورُ يعمُّ كلَّ شيء، يا لَشقاء أمِّي التي كانت جِدُّ شرِّيرة... جِدُّ شرِّيرة...

ألإبن: شقيقتي العزيزة، يا لأمِّي المسكينة. هل تشعرين كم هو دافئ، وكم هو مُريحٌ الآن؟ من الآن لن أشعُرَ بالبَرد ثانيةً... إصغي إلى النِّيران وهي تقضمُ كلَّ شيء، النِّيرانُ تلتهمُ كلَّ ما هو قديم... كلَّ ما هو قديم، كلَّ ما هو شرِّير، كلَّ ما هو قبيح...

جيردا: أخي العزيز، تَمَسَّك بي... فنحن لن نموتَ حَرقاً بالنِّيران... سنموتُ مختنِقَين بالدُّخان فحَسب... هل تشتمُّ رائحة الدُّخان العَبِقة... إنَّها أشجارُ الغار وإكليلُ غار أبي وهو يحترق... ها قد بدأتِ النِّيرانُ تجتاحُ خزانة الملابس، إنَّ رائحة الخزامى ورائحة الزُّهور تعمُّ المكان... أخي العزيز، لا تَخَف، كلُّ شيءٍ سينقضي سريعاً... أخي العزيز... أخي العزيز... لا تَنْهَر... أخي العزيز... أمسِك بي، بشدَّة، عانِقني كما كان يقولُ أبي... إنَّ هذا لَشبيهٌ بما كان يحدثُ عَشيَّة عيد الميلاد، حيث كنَّا نتناولُ

عشاءَنا في المطبخ... حيث كنَّا نغمسُ الخبزَ في الحساء، اليوم الوحيد الذي كنَّا نأكلُ فيه مِلءَ بطوننا، كما كان يقولُ أبي... شُمَّ الرَّائحة العَبِقة، إنَّ النِّيران تجتاحُ خزانة الأطعمة بما فيها من أكياس شاي وقهوة وتوابل وقرنفل...

ألإبن (بانتِشاء): أهو الصَّيفُ قادِم؟... لقد أخذَ البرسيمُ يتفتَّق... والعطلةُ الصَّيفيَّةُ تَدنو... هل تذكرين يوم نزلنا إلى الشَّاطئ مرحِّبين بالسُّفن البخاريَّة البيضاء. وهي بانتظارنا بطلائها الحديث... كان أبي سعيداً يومَها... قال ذات مرَّة وهو على قيد الحياة "كان ينبغي أن تكونَ الحياةُ على هذا النَّحو"... أظنُّه كان مُحِقّاً، لقد ضحَّى لأجلنا بكلِّ ما عنده... كان دائماً في سراويلَ باليَةٍ وياقةٍ مُمَزَّقة، في حين كنَّا نلبسُ ملابسَ تليقُ بابناء النُّبلاء... جيردا، أسرِعي، ها هي السَّفينةُ البخاريَّة تُطلق صَفيراً، أمِّي اجلِسي في مقدِّمة الصَّالة، كلاَّ... فهي لم تَعُد حيَّة... يا لأمِّي الشَّقيَّة إنَّها لن تصحبَنا... ألا تزال هناك على الشَّاطئ... إنَّني لا أراها... سيكونُ الأمرُ غيرَ مُمتعٍ من دونها، إنَّها قادمةٌ الآن... الآن تبدأُ عطلتُنا الصَّيفيَّة الطَّويلة...

(فترةُ صَمت - اللَّهيبُ الأحمر يُرى بشكلٍ أعنف - ألإبن وجيردا يسقطان أرضاً)

(السِّتارة)

***

دار نعمان للثقافة © *Tous droits réservés*

ألَلَّعِبُ بالنَّار

ألأشخاص: الأب، ستُّون عاماً، يتعاطى الرِّبا؛ الأمّ، ثمانية وخمسون عاماً؛
الإبن، سبعة وعشرون عاماً، رسَّام؛ زوجة الإبن، أربعة وعشرون عاماً؛
الصَّديق، ستَّة وعشرون عاماً؛ إبنة العمّ، في العشرين.

شرفة خارجيَّة مؤسَّسة على شكل صالة، بابٌ يؤدِّي إلى حديقة، أبوابٌ أخرى على الجانبَين، الزَّمنُ الحالي في إحدى المدن السَّاحليَّة.

ألمشهدُ الأوَّل

ألإبنُ جالسٌ وهو منهمِكٌ في الرَّسم، تدخلُ زوجةُ الإبن وهي في الرُّوب الصَّباحي.

ألإبن: ألَم يستَيقِظ بعد؟
زوجة الإبن: آكسِل؟ كيف لي أن أعرفَ ذلك؟
ألإبن: ظنَنتُ أنَّك ذهبتِ لتتأكَّدي من ذلك.
زوجة الإبن: ألا تخجَل، لو لم أكُن على يقينٍ بأنَّك لا تغارُ أبداً لَشَكَكتُ في ذلك.
ألإبن: ولو لم أكُن على يقينٍ بأنَّك لا تخونينَني أبداً لَشَكَكتُ في ذلك.
زوجة الإبن: لماذا؟ وفي هذا الوقت بالذَّات؟
ألإبن: لقد سمِعتِني أقولُ لو... أمَّا بشأن صديقنا آكسِل، فإنَّك تعلمين أنِّي لا أقدِّرُ صداقة أحدٍ مثلما أقدِّرُ صداقتَه. وعندما تشاركينَني أنتِ، ولحُسن الحظّ، الشُّعورَ ذاتَه إزاءَ هذه الرُّوح المحطَّمَة، فإنَّ كلَّ شيءٍ يبدو على ما يُرام.
زوجة الإبن: إنَّه رجلٌ تَعِس، لكنَّه أحياناً يتصرَّفُ بشكلٍ غريب. لِمَ غادرَنا في الصَّيف الماضي هكذا، فجأةً، حتَّى دون أن يودِّعَنا، تاركاً جميع أمتعَته...
ألإبن: أجل، تلك كانت قصَّةً غريبة... كنتُ أظنُّ أنَّه كان مُغرَماً بأديل.
زوجة الإبن: كنتَ تظنُّ ذلك؟
ألإبن: نعم... لكنِّي لم أعُد أظنُّ ذلك الآن. أمِّي كانت تظنُّ أنَّه عادَ إلى زوجته وطفله.
زوجة الإبن: كيف ذلك؟ ألَيسا مُطلَّقَين؟
ألإبن: ليس بعد، لكنَّه ما زال ينتظرُ قرارَ المحكمة.
زوجة الإبن: كنتَ تظنُّ أنَّه كان مُغرَماً بأديل، ولم تتحدَّث عن ذلك من قبل؟... حسناً، فلو تسنَّى لهما أن يعيشا معاً لكان ذلك أمراً لا بأسَ به.
ألإبن: مَن يعرفُ ذلك... فأديل تلعبُ من دون أحاسيس.
زوجة الإبن: مَن؟ هي؟ إذاً فمعرفتُك بها ضئيلةٌ جدّاً.
ألإبن: لإنَّ قوامَها جذَّاب، وأمَّا أحاسيسُها، فهذا ما لا أريدُ الحديثَ عنه.
زوجة الإبن: لو أنَّها ملكَت؟
ألإبن: وهل تملك بعض الأحاسيس؟
زوجة الإبن: أجل... عندما تكشف عنها يوماً.

 © Tous droits réservés

ألإبن: حقاً...
زوجة الإبن: يبدو أنَّك مهتمٌ بأمرها...
ألإبن: بشكلٍ ما...
زوجة الإبن: بأيِّ شكل؟
ألإبن: إنَّك تعرفين بأنَّ أديل وقفت كموديل سباحة لي...
زوجة الإبن: أعرف ذلك جيِّداً... ومَن لم تقف أمامك كموديل؟ ولكن أرجو أن لا تعرضَ تخطيطاتِك على كلِّ مَن هَبَّ ودَبّ... ها هي العجوزُ مُقبِلَة.

ألمشهدُ الثَّاني

ألشَّخصان نفسَيهما، تدخلُ الأمُّ بملابسَ باليةٍ وقبَّعةٍ يابانيَّةٍ كبيرة، وهي تحملُ سلَّةً من المأكولات.

ألإبن: إنَّك تبدين كالشَّيطان نفسِه يا ماما.
ألأمّ: أهكذا تخاطبُني من دون أدب؟ (توبِّخُه).
زوجة الإبن: كنوت رجلٌ غريب... ولكن، ماذا اشتريتِ؟
ألأمّ: أوه، لقدِ اشتريتُ سمكاً رائعاً من نوع الدَّاب.
ألإبن (ينبشُ في السَّلَّة): ألَّلعنة! ولكن، ما هذا؟ صِغارُ بَطّ؟
زوجة الإبن: آهٍ لو كانت سمينةً بعض الشَّيء... تحَسَّس هنا أسفلَ الصَّدر.
ألإبن: أعتقدُ أنَّ الصَّدرَ شيءٌ جميل.
زوجة الإبن: ألا تخجل...
ألأمّ: حسناً، لقد زاركما صديقكما ليلة البارحة؟
ألإبن: صديقُنا؟ إنَّه صديقُ كرستين. إنَّها مُغرمةٌ به إلى حَدِّ الجنون... خُيِّلَ إليَّ أنَّكما ستُقبِّلان بعضكما بعضاً ليلة البارحة.
ألأمّ: كنوت!... إيَّاكَ أن تمزحَ على هذا النَّحو، فالذي يلعبُ بالنَّار...
ألإبن: أعرفُ ذلك... لكنِّي لم أعُد صغيراً. وبالمناسبة، هل تتصوَّرين أنَّني أبدو كمَن ينبغي أن يَغار؟
ألأمّ: إنَّ الأمرَ لا يتعلَّقُ بالشَّكل الذي ينبغي أن تبدوَ فيه. أليس كذلك يا كرستين؟
زوجة الإبن: لا أفهمُ بالمرَّة عمَّا تتحدَّثان.
ألأمّ (تُرَبِّتُ على خدِّها بخفَّة): أنتِ، إحذَري.
ألإبن: كرستين بريئةٌ بشكلٍ رهيب... وأنتِ أيَّتها الشَّمطاء، إيَّاكِ أن تُفسديها.
ألأمّ: طريقتُكما في المُزاح بغيضةٌ إلى حَدِّ أنَّ المَرءَ لا يعرفُ أبداً متى تَعنون الجِدّ.
ألإبن: أنا جِدِّيٌّ دائماً...
زوجة الإبن: أعتقدُ ذلك، فأنتَ لا تُضحكُ أبداً عندما تتفوَّهُ بتُرَّهاتِك.
ألأمّ: أظنُّ أنَّكما ستبدآن بمشاجرة الصَّباح... ألَم تناما جيِّداً ليلة البارحة؟
ألإبن: لم نَنَم بالمرَّة...
ألأمّ: ألَّلعنة... سأنصرفُ الآن لئلاَّ يأتي والدُك ويبدأ بشَتمي.
ألإبن: أبي، أين هو؟
ألأمّ: لقد خرجَ للنُّزهة الصَّباحيَّة مع أديل...
ألإبن: ألا تغارين؟

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

ألأمّ: آه...
ألإبن: لكنِّي أنا أغار.
ألأمّ: ممَّن تغار؟... لو سمحتَ لي بهذا السُّؤال.
ألإبن: من العجوز طبعاً.
ألأمّ: كرستين، هل سمعتِ؟ هنيئاً لك، لقد دخلتِ عائلةً سعيدة.
زوجة الإبن: نعم، لو لم أعرف كنوت معرفةً جيِّدةً، ولو لم أعرف بأنَّ هؤلاء الفنَّانين قومٌ متميِّزون، لكنتُ شعرتُ بأنِّي لا أنتمي إلى العائلة تماماً.
ألإبن: أجل، أنا فنَّان... وأمَّا أبي وأمِّي فهما من صِغار البُرجوازيَّة، ضيِّقا الأفق.
ألأمّ (دون أن تكونَ شرِّيرة): إنَّك أنتَ البُرجوازيُّ الصَّغير الضَّيِّق الأفق الذي لم يكسب قوتَه بنفسه قطّ، وأنتَ الآن كبيرُ السِّن... ولم يكُن أبوك بُرجوازيّاً ضيِّق الأفق عندما بنى هذا المنزل لنَكِرةٍ مثلِك.
ألإبن: آه... أن تكون الإبنَ البِكرَ أمرٌ لا يبعثُ على السُّرور... والآن انصرفي وإلاَّ ستتلقَّين السِّبابَ منه هنا، وهذا ما لا أريدُ أن أسمعَه... عَجِّلي فالعجوزُ قادم.
ألأمّ: سأسلُك هذا الطَّريق... (تنصرف).
ألإبن: هناك تيَّارٌ هوائيٌّ لعينٌ في هذا المنزل... تيَّارٌ حقيقيّ.
زوجة الإبن: أليس بإمكان الوالدَين أن يدعانا ننعمُ بهدوءٍ بعضَ الوقت؟ ولِمَ كلُّ هذا التشبُّث بالذَّهاب إلى مائدتهما؟ أما يكونُ لنا مطبخُنا الخاصّ...
ألإبن: تماماً كما يُلقى بالطَّعام إلى العصافير على حافَّة النَّافذة كي يتمتَّعَ المَرءُ بمَشهد التقاطها له.
زوجة الإبن (تسترقُّ السَّمْعَ باتِّجاه الخارج): كفى... حاول أن تشجِّعَ العجوزَ كي تتخلَّصَ من الشِّجار الصَّباحي.
ألإبن: لو كان ذلك بإمكاني لفعَلتُه، لكنَّه ليس مُستعدّاً دائماً أن يتقبَّلَ مُزاحي اللَّطيف.

ألمشهدُ الثَّالث

ألأشخاص أنفسُهم، يدخلُ الأبُ في صدريَّةٍ بيضاءَ من دون أكمام، يضعُ فوقها سترةً مخمليَّةً سوداء في ياقتها وردة.
تطوفُ ابنةُ العمِّ في أرجاء الغرفة أوَّلاً، ثمَّ تبدأُ بنَفض الغبار عن الأثاث.

ألأب (دون أن يرفعَ قبَّعتَه): إنَّه لَصباحٌ بارد.
ألإبن: بإمكاني أن أرى ذلك...
ألأب: وكيف بإمكانك؟
ألإبن: على الأقلّ أرى رأسَك يرتعِش...
ألأب (ينظرُ إليه باحتقار).
زوجة الإبن: يا لك من وقِحٍ يا كنوت.
ألأب: المجنون يسبِّبُ الحزنَ لنفسه، وأمَّا والدُ المجنون فلا يهدأُ له بال.
ألإبن: من أين تأتيك كلُّ هذه الحِكَم؟
زوجة الإبن (تخاطبُ ابنة العمّ): كفى، لقد نفضتِ الغبارَ بما فيه الكفاية يا صديقتي العزيزة.
ألأب: المرأةُ الذَّكيَّةُ تبني منزلاً، وأمَّا الرَّجلُ المجنونُ فبإمكانه أن يهدمَه بحركاته الطَّائِشَة.
ألإبن: هل سمعتِ يا أديل؟

إبنة العمّ: أتخاطبُني أنا؟
ألإبن: نعم أنتِ... من أين جاءتِ الحكمةُ التَّالية؟ مَثَلُ المرأة غير المتحفِّظة كمَثَل خنزيرةٍ تحملُ دَلواً بأنفها...
زوجة الإبن: كنوت، ما هذا؟
ألأب: لقد زاركما شخصٌ ما في وقتٍ متأخِّرٍ مساءَ أمس.
ألإبن: أتعتقدُ أنَّ الوقتَ كان متأخِّراً جدّاً؟
ألأب: أنا لا أعتقدُ شيئاً، ولكن كان بإمكان الشَّاب أن يختارَ وقتاً أنسَب.
ألإبن: إذاً، فأنتَ، على الرَّغم من هذا، تعتقدُ ذلك.
ألأب: هل جاءَ تلبيةً لدعوتكما؟
ألإبن: أهذا استِجواب؟... يبدو أنَّك تحملُ معك لولبَ الضَّغط على الإبهام.
ألأب: كلاَّ، فإنَّه من ممتلكاتك الشَّخصيَّة. ما إن أطرح سؤالاً حتَّى تلوِّحوا بالتَّهديد بالمغادرة، ومع ذلك فأنتم تعرفون بأنَّني بنيتُ هذا المنزل لكم... كي أراكم في الصَّيف على الأقلّ... فالمَرءُ عندما يبلغُ سنَّ الشَّيخوخة مثلي يشعرُ بالحاجة إلى أن يعيشَ من أجل الآخرين.
ألإبن: لستَ كبيراً في السِّنّ إلى هذا الحَدّ، فاليومَ حين كنتَ خارجاً ووردةٌ على ياقتك، حسبتُك خارجاً للمغازلة.
ألأب: لكلِّ شيءٍ حدود، وللمُزاح أيضاً... وإلاَّ فماذا تعتقدين يا كرستين؟
زوجة الإبن: إنَّ كنوت لرَهيب... ولو لم أكُن على يقين بأنَّه لا يعني شيئاً في ما يقول، لـ...
ألأب: إن كان لا يعني شيئاً ممَّا يقول، فهو، إذاً، أبلَه... (يتأمَّلُ بُرْتَرتاً بدائيّاً للصَّديق) صورةُ مَن هذه؟
ألإبن: ألا ترى أنَّها صورةُ صديقنا... صديقِ العائلة...
ألأب: تعابيرُه شرِّيرة... يبدو في هذه الصُّورة كأنَّه رجلٌ سيِّئ.
زوجة الإبن: نعم، في هذه الصُّورة. ولكنَّه ليس كذلك.
ألأب: الإنسانُ الذي لا دينَ له... إنسانٌ سيِّئ. والرَّجلُ الذي يهجرُ حياتَه الزَّوجيَّة رجلٌ سيِّئ.
زوجة الإبن: لكنَّه لم يهجر حياتَه الزَّوجيَّة... بل ترك القرارَ للمحكمة كي تبتَّ في الأمر.
ألأب: مضى زمنٌ كان كنوت يتحدَّثُ فيه دائماً بشكلٍ سيِّئ عن صديقكما هذا... كيف اتَّفقَ أن غدا الآن مُغرَماً به؟
ألإبن: ذلك لأنِّي لم أكُن أعرفُه في ما مضى... ولأنِّي بدأتُ الآن أعرفُه... هلِ انتهيتَ من شجارك الصَّباحي الآن؟
ألأب: هل سمعت هذا المَثَل من قبل؟
ألإبن: لقد سمعت كلَّ الأمثال والحكايات...
ألأب: للحبِّ وقتٌ وللكراهية وقت... طابَ صباحكم (يخرج).

ألمشهدُ الرَّابع

ألأشخاص السَّابقون في ما عدا الأب.

زوجة الإبن (تخاطبُ ابنة العمّ التي تهمُّ بسَقي الزُّهور): الزُّهور مسقيَّة يا صديقتي العزيزة.
إبنة العمّ: لا تناديني بالصَّديقة... لأنَّك تكرهينَني...

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

زوجة الإبن: أنا لا أكرهُك، على الرَّغم من أنَّك أنتِ السَّبب في كلِّ هذا الشِّقاق بين أفراد هذه العائلة.
ألإبن: هكذا!... سوف تبدآن أنتما أيضاً.
زوجة الإبن: ليتني أحسُّ شيئاً من الودِّ تجاه عناية أديل بمنزلي... لكن هناك دائماً نقداً وتوبيخاً في طريقتها عندما تُسدي إليَّ خدمة.
إبنة العمّ: إنَّك تشعرين بذلك لأنَّك تُهملين شؤون بيتك وطفلك، وأمَّا أنا فلي هدفٌ واحدٌ في كلِّ ما أفعلُه وأقولُه... أن أكون نافعة، بحيث لا أشعرُ بأنِّي أعيش على الصَّدقات. لكنَّك أنتِ... أنتِ...
ألإبن (يقتربُ من ابنة العمِّ وينظرُ إليها): لو تملكين روحَ الدُّعابة لكنتِ تملكين حينذاك عواطفَ.
زوجة الإبن: ما لكَ ولعواطفها؟
إبنة العمّ: صحيح... فالفقيرُ لا ينبغي أن يملكَ عواطفَ، ولا وجهاتِ نظر، ولا رغبات، ولا أحاسيس. وأمَّا مَن يتزوَّجُ شخصاً ثريّاً مُحتفِلاً بالزِّواج في الكنيسة، فبوسعه أن يفعلَ ما يشاء. بإمكان هذا الشَّخص أن يقصدَ مائدةً عامِرَة... أن يزحفَ إلى سريرٍ وثير... أن يعيشَ اللَّيلَ والنَّهارَ كخنزير.
زوجة الإبن: أما تخجلين...
إبنة العمّ: دَعكِ منِّي... أنا أرى كلَّ شيء وأسمعُ كلَّ شيء (تنصرف).

ألمشهدُ الخامس

ألشَّخصان السَّابقان في ما عدا ابن العمّ.

ألإبن: أعتقدُ أنَّ الشَّيطانَ يطوفُ في هذا المنزل.
زوجة الإبن: لمَّا يزَل بعد... ولكن من المحتَمَل أن يبدأ... إحترِس من هذه الفتاة. ألا ترى أنَّه من الممكن أن تموتَ والدتُك؟
ألإبن: ثمَّ ماذا؟
زوجة الإبن: حينذاك سيتزوَّجُ والدُك ثانيةً.
ألإبن: من أديل؟
زوجة الإبن: أجل.
ألإبن: آه... بالمناسبة، هذا ما يجبُ أن نحولَ دونه... أعني أن تغدوَ هي زوجةُ الأب، وأطفالُها يتقاسمون الإرث.
زوجة الإبن: يُقالُ إنَّ الحَما تركَ منذ الآن وصيَّةً بشأن أديل.
ألإبن: ما الذي تتصوَّرينه بشأن علاقتهما؟
زوجة الإبن: كلَّ شيءٍ ولا شيء... من الواضح أنَّه مُغرَمٌ بالفتاة.
ألإبن: مُغرَم؟... ذلك محتمَل، ولكن ليس أكثر من ذلك.
زوجة الإبن: مُغرَمٌ إلى درجة أنَّه يغارُ من آكسِل.
ألإبن: ولكن، أليس بإمكان المَرء أن يدفعَ بالشَّابَّين إلى الزِّواج؟
زوجة الإبن: آكسِل لا يتزوَّجُ بهذه السُّهولة.
ألإبن: كيف ذلك وهو الغارقُ في الهُيام ككلِّ الأرامِل.
زوجة الإبن: لكنِّي أشعرُ بالشَّفقة عليه... إنَّه أكثر طيبةً من أن يتزوَّجَ شيطانةً كهذه.

 © *Tous droits réservés*

ألإبن: لا أعرفُ كيف سيكونُ الطَّقسُ هذا العام، لكنَّ الهواء يبدو ثقيلاً... ثمَّة عاصفةٌ وشيكة... ولي رغبةٌ عارِمَةٌ في السَّفر.
زوجة الإبن: نعم، ولكن ليس بإمكانك أن تبيعَ بعضاً من لوحاتك. ولو سافرنا لقَطَعَ والدُك عنَّا الإعانة الماليَّة السَّنويَّة... سنحكي كلَّ ذلك لآكسِل... فبمقدوره أن يساعدَنا لأنَّه يملكُ قدرةً على تدبير أمور الآخرين. وأمَّا أموره الشَّخصيَّة فعو عاجزٌ عن تدبيرها.
ألإبن: لا أعرف، هل من الحكمة أن ندعَ الغرباءَ يتدخَّلون في الشِّجار العائليّ؟
زوجة الإبن: أتَنعَتُ صديقَنا الوحيدَ بالغريب؟
ألإبن: نعم، أيّاً كان... فالقريبُ هو مَن ينتمي إليك بصِلَة القرابة... ولا شيء غير ذلك... غالباً ما يردِّدُ العجوزُ قولاً "عامِل أصدقاءَك دوماً وكأنَّكم ستُصبحون أنداداً".
زوجة الإبن: هكذا... بدأتَ الآن تستشهد بأقوال العجوز... فهو يملكُ مثلاً كريهاً آخر "إحذَر مَن تحبّ".
ألإبن: إنَّه لأمرٌ مرعبٌ عندما يبدأ بترديد حِكَمِه.
زوجة الإبن (نحو الخارج): أجل... وأخيراً (تذهب نحو آكسِل)، صباحَ الخير يا مَن ينامُ إلى وقتٍ متأخِّر.

ألمشهدُ السَّادس

ألأشخاص أنفسُهم. يدخلُ الصَّديق في ملابسَ صيفيَّةٍ فاتحة اللَّون ولِفاف عنقٍ أزرقَ، مُنتَعِلاً حذاءً أبيضَ للتِّنِس.

ألإبن: صباحَ الخير.
ألصَّديق: صباحَ الخير أيُّها الأصدقاء.
زوجة الإبن: أجل...
ألإبن: كانت زوجتي قلقةً لأنَّك لم تَنَم ليلة البارحة.
ألصَّديق (باضطِّراب): ماذا تعني؟ ماذا تعني؟
ألإبن (لزوجته): أترَين؟ إنَّه خجول...
زوجة الإبن (تتفحَّص الصَّديقَ بفضول).
ألصَّديق: إنَّه صباحٌ رائع... ما إن ينامُ الإنسانُ تحت سقف شخصَين سعيدَين حتَّى تبدأ الحياةُ تبتسمُ بوجهه.
ألإبن: أتظنُّ أنَّنا سعيدان جدّاً؟
ألصَّديق: نعم... والأسعد منكما مرَّتَين هو والدُك، إذ يجدُ أطفالَه وأحفادَه يعيشون من جديد حياةً رغيدة... إنَّ النَّاس نادراً ما يحظَون بمثل هذه الشَّيخوخة.
ألإبن: لا تحسدِ الآخرين.
ألصَّديق: أنا لا أحسدُ أحداً، بل على العكس، أنا أغبطُ الذين تسيرُ حياتُهم سعيدةً رغيدة، وربَّما يمنحُني ذلك الأملَ بأن تسيرَ حياتي مثلهم في المستقبل، خصوصاً عندما يُدركُ المَرءُ أيَّ حياةٍ مضطربةٍ عاشَها والدُك... الإفلاسُ المالي... حياة المنفى... النَّبذُ من قِبَل العائلة.
ألإبن: وأمَّا الآن فهو يملكُ منزلاً وعقارات... وابنُه تزوَّجَ على أفضل صورة، أليس كذلك؟
ألصَّديق: أجل، لا شكَّ في ذلك.
ألإبن: إسمَع... كنتَ مُغرَماً بزوجتي في العام الماضي.

© Tous droits réservés

ألصَّديق: لا... هذا ما لا أستطيعُ أن أدَّعيَه، كنتُ فقط أميلُ إليها بعض الشَّيء. وقدِ اختفى هذا المَيلُ الآن.
زوجة الإبن: يَقيناً أنَّكما تتغيَّران بسرعة.
ألصَّديق: أجل... في أهوائي... وهذا من دواعي سعادتي.
ألإبن: ولكن، لماذا سافرتم على حين غِرَّةٍ في الصَّيف الماضي؟ أكان ذلك بسبب الزَّوجة الأولى أم بسبب أديل؟
ألصَّديق (حائِراً): إنَّك فضوليٌّ في طَرح الأسئلة.
ألإبن: إذاً، كان ذلك بسبب أديل... أترَين يا كريستين.
زوجة الإبن: لم يكُن من الضَّروريِّ أن يخافَ منها.
ألصَّديق: أنا لا أخافُ السَّيِّدات، ولكن أخشى من عواطفي عليهنّ.
ألإبن: لك موهبة غير اعتياديَّة في اللَّفّ والدَّوران، لذلك يستحيلُ على المَرء أن يفهمَك.
ألصَّديق: لماذا يقتضي على المَرء أن يفهمَني بالذَّات أكثرَ من غيري؟
ألإبن: أتعرفُ ماذا قال أبي عن صورتك قبلَ قليل؟
زوجة الإبن: كنوت...
ألإبن: قال بأنَّ الصُّورةَ تبدو أنَّها لإنسانٍ سيِّئ.
ألصَّديق: ربَّما إنَّه مطابقٌ للأصل... ربَّما أشعرُ أنَّني سيِّئٌ حقّاً في هذه اللَّحظة.
زوجة الإبن: إنَّكما تخاطبان النَّاسَ متبَجِّحَين بذكر مساوئكما.
ألصَّديق: ربَّما أفعلُ ذلك بغية إخفائها.
زوجة الإبن: كلاَّ، أنتَ إنسانٌ جيِّد، أحسن بكثير ممَّا تريدُ أن تكون. ولكن ينبغي لك ألاَّ تدفعَ بأصدقائك إلى الخوف منك.
ألصَّديق: هل أنتِ خائفة منِّي؟
زوجة الإبن: نعم... أحياناً... عندما تكونُ غيرَ قابلٍ للفهم.
ألإبن: عليكَ أن تتزوَّجَ ثانيةً... هذا كلُّ ما تحتاجُه.
ألصَّديق: كلُّ ما أحتاجُه... ومَن أتزوَّج؟
ألإبن: أديل... مثلاً.
ألصَّديق: أتوسَّلُ إليك ألاَّ تتطرَّقَ إلى هذا الموضوع.
ألإبن: أُنظُر، تلك هي النُّقطةُ الحسَّاسة. إذاً، كان سفرُكم بسبب أديل.
ألصَّديق: والآن أيُّها الأصدقاء الأعزَّاء، ربَّما من الأفضل لي أن ألبسَ روباً أسود.
زوجة الإبن: لا حاجة بك إلى هذا، فهذه البدلة أنيقة، وستكون أديل مُغرَمةً بك.
ألإبن: هل سمعتَ زوجتي وهي تقولُ إنَّك أنيق؟
ألصَّديق: أتعتبرُ رأيَها في البدلة خَطِراً إلى هذا الحَدّ؟
ألإبن: إنَّه من غير المألوف أن تنطقَ سيِّدةٌ بالمُجاملات، على الأقلّ بحقِّ رجل. ولكن، أنتم أيضاً أناسٌ غيرُ مألوفين.
ألصَّديق: هل تَصحبانني إلى الخارج كي نفتِّشَ معاً عن غرفةٍ لي.
زوجة الإبن: ماذا؟ ألا تريدُ أن تمكثَ عندنا أكثرَ من ذلك؟
ألصَّديق: كلاَّ، لم يكُن ذلك هدفي أبداً.
ألإبن: هكذا إذاً.
زوجة الإبن: لِمَ لا تريدُ المكوثَ عندنا؟ أخبرنا.
ألصَّديق: لا أعرف... لا أريدُ أن أُضايقَكم... وقد يحدثُ أن يسأمَ أحدُنا الآخر.

 دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

زوجة الإبن: هل بدأتَ تسأمُ منَّا؟ إسمع، لا ينبغي لك أن تفعل ذلك... أعني... إنَّه من المستحيل أن تعيشَ هناك في القرية... حينذاك يبدأُ النَّاسُ بالكلام...
ألصَّديق: كلام، أيُّ كلام؟
زوجة الإبن: آه... أنت تعلمُ أنَّ النَّاسَ يختلِقون قصصاً.
ألإبن: الأمرُ واضح! عليك أن تمكثَ هنا... دَعهم يتكلَّمون... إن مكثتَ هنا، فأنتَ عشيقُ زوجتي، وإن مكثتَ في القرية يعني أنَّك قطعتَ علاقتَك بها طبعاً... أو أنِّي طردتُك. وأعتقدُ أنَّه من الأشرَف أن تكونَ عشيقَ زوجتي.
ألصَّديق: إنَّك تُعبِّرُ عن نفسك بوضوحٍ أكثرَ من اللاَّزم. لكنِّي أُريدُ بالأحرى أن أفكِّرَ بما يُناسبُ شرفَكم.
ألإبن: هناك سببٌ أخرُ يدعوك لذلك، ولا تريدُ البَوح به.
ألصَّديق: بصراحة، لا أجرؤ على البقاء, أجل، إنَّ الإنسانَ يتعوَّدُ بسهولةٍ حياةَ الآخرين... يتعوَّدُ مُستَمتِعاً بحياتهم... وفي النِّهاية يدخلُ في علائِقَ عاطفيَّةٍ معهم، وعندها يكونُ الافتراقُ صعباً.
ألإبن: ولماذا يجبُ أن نفترقَ إذاً؟... كفى، ستمكثُ هنا... قدِّم ذراعَك لزوجتي. سنخرجُ كي نتنزَّه.
ألصَّديق (يقدِّم ذراعَه لزوجة الإبن بشيءٍ من التَّردُّد).
زوجة الإبن: أعتقدُ أنَّ ذراعَك ترتعش... كنوت، إنَّه يرتعش.
ألإبن: يا له من زوجٍ مناسب... لكنَّه حقّاً يرتعش. لك أن تمكثَ في البيت إن كنتَ تشعرُ بالبرد.
ألصَّديق: لو سمحتُما فأنا أريدُ أن أبقى هنا وأقرأ الصَّحيفة.
زوجة الإبن: من كلِّ قلبي... أنا وكنوت سنذهبُ إلى السُّوق... (تلوِّحُ نحو الخارج)... أديل... تعالي، هناك شيءٌ لكِ.

ألمشهدُ السَّابع

ألأشخاص أنفسُهم مع أديل.

ألصَّديق: هل تريدُ الآنسةُ المكوثَ معي في أثناء خروج الزَّوجَين إلى السُّوق؟
إبنة العمّ: أن أمكثَ معك؟ ولِمَ؟ أتخشى الظَّلام؟
ألصَّديق: نعم... كثيراً.

(يخرجُ الإبنُ وزوجتُه، ويتأكَّد الصَّديقُ من أنَّه وابنة العمِّ وحيدَين).

ألصَّديق: لا أودُّ أن تفوتَني هذه المناسبة كي أقولَ لكِ كلمةً خاصَّةً كونك تنتمين إلى هذه العائلة بصلة القرابة... هل تسمحين لي بذلك؟
إبنة العمّ: تفضَّل.
ألصَّديق: أنتِ تعلمين كم أُحبُّ هذين الشَّابَّين، أراكِ تبتسمين... أفهم ماذا تقصدين. إنَّها الحقيقةُ بعَينها... فالسَّيِّدة كرستين كامرأةٍ شابَّةٍ تمارسُ عليَّ بعض الجاذبيَّة... لكنِّي مع ذلك أؤكِّد لكِ بأنِّي أكبحُ جماحَ عواطفي... لدرجة أنَّها كادت تفلتُ عن طورها ذات مرَّة.
إبنة العمّ: كونك مُغرَماً بكرستين بعض الشَّيء لا يُدهشُني، ولكن أن تجدَ متعةً في معاشرة كنوت، هذا ما لا أفهمُه... إنَّه رجلٌ تافه... إنَّه دونَك بكثيرٍ في الموهبة والتَّجربة معاً.

 © Tous droits réservés

ألصَّديق: أتعنين أنَّه مجرَّدُ طفل... ولكنِّي في هذا بالذَّات أجدُ الرَّاحة بعد رفقة المثقَّفين لشتاءٍ بأكمله.
إبنة العمّ: اللَّعِبُ مع الأطفال تسلية، ويكونُ متعباً أحياناً. لكنَّك لا تتعَب مع كنوت... لماذا؟
ألصَّديق: لم أفكِّر بهذا الشَّأن. يبدو أنَّكِ فكَّرتِ في هذا الأمر. ماذا تتصوَّرين؟
إبنة العمّ: أنتَ، ومن دون أن تعلم، مُغرَمٌ بكرستين.
ألصَّديق: لا أظنُّ ذلك لأنِّي في الحقيقة أحبُّ الزَّوجَين معاً لدرجة أنِّي لا أجدُ اللَّذَّةَ في معاشرة أحدهما دون الآخر. ولكن، إفترِضي أنَّ الأمرَ كما تتصوَّرين... يعني أنِّي مُغرَمٌ بكرستين... ماذا يعني الأمرُ حينذاك ما دمتُ أكبحُ جماحَ عواطفي؟
إبنة العمّ: للعواطف ميزةُ الانتقال وسرعةُ الانتشار كالنَّار.
ألصَّديق: هذا أمرٌ مُحتَمَل، لكنِّي لا أجدُ خطراً في ذلك... بإمكانك أن تكوني واثقةً تماماً من أنَّني، بعد ما عانيتُ مؤخَّراً من عذابات الطَّلاق، لا رغبة لي في أن أمرَّ بتجربةٍ أو أكونَ سبباً فيها. وفي ما عدا ذلك، فإنَّ السَّيِّدة كرستين مُغرَمةٌ بزوجها.
إبنة العمّ: مُغرَمة؟ إنَّها لم تكُن مُغرَمةً به أبداً... وحبُّهما هو من نوع علاقة زوجيَّة ساكنة. ولكن لِكنوت عواطف جيَّاشة بطبيعته... إلى حدِّ أنَّه من الممكن أن يحزنَ من أجل شيءٍ من التُّوت والحليب.
ألصَّديق: إسمَعي... يقيناً أنَّكِ كنتِ مخطوبة.
إبنة العمّ: كيف؟
ألصَّديق: يبدو لي أنَّك خبيرةٌ في هذا المجال... لذلك سأتعمَّقُ في الموضوع... كما يبدو لي أنَّ الأمورَ تغيَّرت كثيراً منذ العام الماضي.
إبنة العمّ: كيف؟
ألصَّديق: أعتقدُ أنَّ الجوَّ الآن هو جوٌّ آخرُ وأنَّ طريقة تفكير النَّاس تغيَّرت، وكذلك وكلامُهم... هناك شيءٌ ما يُقلقُني.
إبنة العمّ: أنتَ تلاحظُ ذلك... إنَّها عائلةٌ غريبة... الأبُ عاطل، مُرابٍ منذ عشر سنوات... الإبنُ هو الآخر عاطلٌ ومُرابٍ منذ ولادته... إنَّهم يأكلون وينامون بانتظار الموت، لا هدفَ لهم في الحياة... لا طموح... لا مُعاناة... ولكن لديهم الكثير من المواعِظ. هل لاحظتَ أنَّ هناك عبارةً تتردَّدُ بين ساعةٍ وأخرى في هذا المنزل: إنسانٌ سيِّئ.
ألصَّديق: إنَّك تتحدَّثين بطريقةٍ رائعة، وإنَّك لَثاقِبَةُ النَّظَر.
إبنة العمّ: كالحقد... أجل.
ألصَّديق: إنَّ الإنسانَ عندما يحقدُ كما أنتِ تحقدين يجبُ أن يكونَ قادراً على الحبّ.
إبنة العمّ: همممم.....
ألصَّديق: الآن وقد تكلَّمنا بسوءٍ عن أصدقائنا، علينا أن نُصبحَ أصدقاءَ، شِئنا ذلك أم أبَينا.
إبنة العمّ: شِئنا ذلك أم أبَينا.
ألصَّديق: مدِّي لي يدَكِ، ولكن عِدِيني بأنَّكِ لن تكرهيني.
إبنة العمّ (تُمسكُ بيده): يداكَ باردتان جدّاً.

(زوجةُ الإبن تُلقي من خلال الباب نظرةً خاطفة)

ألصَّديق: لكنَّ يدَك أكثر دِفئاً.
إبنة العمّ: أُسكُت، كرستين هناك.

 © Tous droits réservés

ألصَّديق: إذاً علينا أن نواصلَ حديثَنا في وقتٍ آخر.

ألمشهدُ الثَّامن

ألصَّديقُ وابنةُ العمّ وزوجةُ الإبن

(صمتٌ على المسرح)

زوجة الإبن: ما هذا الصَّمت؟... هل أزعجَكما مجيئي؟
إبنة العمّ: أبداً... قد أكونُ أنا التي تُزعجُكم.

زوجة الإبن (تتركُ رسالةً للصَّديق): هذه الرِّسالة موجَّهة إليك... إنَّها من امرأة.
ألصَّديق (يتفحَّصُ الرِّسالة فيشحبُ وجهُه).
زوجة الإبن: كم أصبحتَ شاحباً!... خُذ شالي إن كنتَ لا تزالُ تشعرُ بالبرد (تخلعُ الشَّالَ عن كتفَيها وتضعه على كتفَي الصَّديق).
إبنة العمّ: ربَّما تحتاجُ إلى وسادةٍ تحت القدمَين.
زوجة الإبن: كان من الأجدر بكِ أن تقولي سأوقدُ المدفأة، لأنَّ الجوَّ مُفعَمٌ بالرُّطوبة بعد سقوط المطر لعدَّة أيَّام.
إبنة العمّ: أجل... لا شكَّ في أنَّكِ على صواب.
ألصَّديق: هل تجشَّمتِ عناءَ المشقَّة من أجلي؟
إبنة العمّ: هذا شيءٌ لا يستحقُّ الذِّكر.

ألمشهدُ التَّاسع

ألصَّديقُ وزوجةُ الإبن

(صمت)

ألصَّديق: يا له من صمت...
زوجة الإبن: بالضَّبط كالصَّمت الذي حلَّ حين دخولي. أيَّة أسرارٍ كنتما تحتفظان بها؟
ألصَّديق: كنتُ أشكو قليلاً، الشَّكوى عادةٌ قديمةٌ لا أقدرُ التَّخلُّصَ منها.
زوجة الإبن: إذاً، أُشْكُ قليلاً لي أنا أيضاً... أنتَ لست محظوظاً...
ألصَّديق: السَّببُ الرَّئيسيُّ في ذلك هو أنَّني لا أستطيعُ العمل.
زوجة الإبن: وأنَّك لا تستطيعُ العملَ بسبب...
ألصَّديق: أيّاً كان السَّبب.
زوجة الإبن: لا تزالُ متعلّقاً بزوجتك؟
ألصَّديق: لست متعلّقاً بها، بل بذكراها.
زوجة الإبن: إستَعِد ذكراها إذاً.
ألصَّديق: أبداً

 © Tous droits réservés

زوجة الإبن: هل ذهبتَ إليها، عندما هربتَ في خريف العام الماضي؟
ألصَّديق: لا، لم أذهب إليها، بل قصدتُ شخصاً آخرَ ما دُمتِ تسألين.
زوجة الإبن: أوه...
ألصَّديق: حسناً... فعندما تلسعُ النُّعرةُ يجدُ المَرءُ بعض الرَّاحة في التَّمرُّغ بالوحل، ويؤدِّي ذلك إلى جعل الجِلد أكثر خضونة.

زوجة الإبن: ألا تخجل؟
ألصَّديق: وبالمناسبة... هنالك وحلٌ أصيل ووحلٌ غير أصيل.
زوجة الإبن: ماذا تعني بذلك؟
ألصَّديق: أنتِ متزوِّجة، ونحن لسنا بطفلين يُعَدَّان للتَّعميد في الكنيسة. إذاً، أنا أعني أنَّ العلاقة الزَّوجيَّة هي السَّماحُ للمَرء أن يرقدَ في مقبرة الكنيسة... وأمَّا غير المتزوِّج فلا يحقُّ له الرُّقودُ في مقبرة الكنيسة. والأرض، في كلا الحالَين، حافلة بالموتى.
زوجة الإبن: ولكنَّك بالتَّأكيد لا تريدُ أن تعقدَ مقارنة؟
ألصَّديق: بلى... أريدُ أن أقارن.
زوجة الإبن: من أيِّ نوعٍ من النِّساء كانت زوجتُك حقّاً؟
ألصَّديق: كانت فتاةً شريفة، تنتمي إلى أحسَن الأُسَر.
زوجة الإبن: هل كنتَ تُحبُّها؟
ألصَّديق: حبّاً جَمّاً.
زوجة الإبن: وبعد ذلك؟
ألصَّديق: راحَ واحدُنا يكرهُ الآخر.
زوجة الإبن: ولكن، لماذا؟ لماذا؟
ألصَّديق: هذا من أسئلة الحياة الكثيرة التي لا جوابَ عليها.
زوجة الإبن: ولكن، لا بدَّ أنَّ هنالك سبباً ما.
ألصَّديق: هذا ما كنتُ أظنُّه أيضاً. ولكن، ظهرَ أنَّ الأسبابَ كانت ناتجةً من كرهنا. لم يكُن شجارُنا سبباً لافتراقنا، بل إنَّ الشِّجار بدأ عندما نضبَ الحبُّ بيننا. لذا تُرى الزِّيجاتُ الخاليةُ من الحبّ من الزِّيجات السَّعيدة.
زوجة الإبن (بسذاجة): حسناً... أنا وكنوت لم ندخل في مشاجراتٍ جِدِّيَّةٍ أبداً.
ألصَّديق: ها قد تكلَّمتِ بصراحةٍ يا سيِّدة كرستين.
زوجة الإبن: ماذا قلت؟
ألصَّديق: قلتِ إنَّك لم تُحبِّي زوجَكِ قط.
زوجة الإبن: لم أحبّ؟... حسناً، وماذا تعني؟
ألصَّديق (ينهضُ واقفاً): أيُّ سؤالٍ هذا صادرٌ عن امرأةٍ متزوِّجة... ماذا أعني؟ حسناً، إنَّها من الأشياء التي نقومُ بها دون أن نتحدَّثَ عنها.
زوجة الإبن: هل كانت زوجتُك جميلة؟
ألصَّديق: نعم... كنتُ أراها جميلة... بالمناسبة، كانت تشبهُك.
زوجة الإبن: وهل تعتقد أنِّي جميلة؟
ألصَّديق: أجل.
زوجة الإبن: زوجي لم يكُن يعتقدُ ذلك قبل أن يسمعَ ذلك منك. والجديرُ بالملاحظة أنَّه مُغرَمٌ بي لا لشيء إلاّ لأنَّك موجودٌ هنا، وكأنَّ حضورَك ألهبَه.

ألصَّديق: ولهذا يرغبُ في أن يراني هنا... وأنتِ؟
زوجة الإبن: أنا؟
ألصَّديق: ربَّما ينبغي لنا أن ننهيَ هذا الحديث قبل أن نتوغَّلَ في الموضوع أكثر.
زوجة الإبن (بحِدَّة): ماذا تعني؟ ما تصوُّرُك عنِّي؟
ألصَّديق: لا شيءَ سيِّئاً... لا شيء. أعذُريني إن كنتُ قد آلمتُكِ.
زوجة الإبن: لقد جرحتَني... على نَحوٍ بالِغ... لكنِّي أفهمُ نظرتَك الاستِعلائيَّة على النِّساء.
ألصَّديق: ليس على جميع النِّساء... أنتِ بالنِّسبة إليّ...
زوجة الإبن: ماذا؟
ألصَّديق: زوجة صديقي، لذلك...
زوجة الإبن: ولو لم أكُن زوجة صديقك؟
ألصَّديق: للمرَّة الثَّانية، لا أريدُ الاستمرارَ في هذا الموضوع. يبدو لي يا سيِّدة كرستين وكأنَّك لستِ مُعتادةً على نَيل إعجاب الرِّجال.
زوجة الإبن: هذا ما لستُ مُعتادةً عليه. لذلك أثمِّنُ أن أُحَبَّ من الرِّجال... قليلاً فقط...
ألصَّديق: قليلاً فقط، لديك حقّاً استعدادٌ لتَكوني إنساناً سعيداً، لأنَّ مطالبَك في الحياة قليلة.
زوجة الإبن: وماذا تعرفُ أنتَ عن مطالبي؟
ألصَّديق: هل أنتِ توَّاقةٌ إلى المجد؟ أيُحتملُ أن تكوني من النَّوع الذي يُثابرُ على الصُّعود نحو العُلى كي يُحقِّقَ شيئاً؟
زوجة الإبن: كلاَّ، أنا لست من هذا النَّوع. لكنَّ الحياةَ رتيبة... لا عمل... لا أحاسيسَ جيَّاشة... لا شيءَ يحدث. هل تعرفُ بأنَّني أغدو أحياناً شرِّيرةً إلى حدِّ أنِّي أتمنَّى أن تنزلَ بي مصيبة كبيرة، وباء، نيران... (وبِهَمس) أن يموتَ طفلي... أن أموتَ أنا نفسي...
ألصَّديق: أتعلمين ما هذا؟ إنَّه الخمول... التُّخمة في المتعة المادِّيَّة... أو ربَّما شيءٌ آخر.
زوجة الإبن: ما هو؟
ألصَّديق: الشَّبَق.
زوجة الإبن: ماذا قلت؟
ألصَّديق: لا أرغبُ في ترديد تلك الكلمة... خصوصاً وأنِّي أعتقدُ بأنَّك سمعتِها. وبما أنِّي لا أقصدُ من ورائها شيئاً سيِّئاً، لذا فإنِّي لا أظنُّ أنِّي جرحتُك.
زوجة الإبن: إذاً، أنتَ تختلفُ عن النَّاس جميعاً... أنتَ تصفعُ صديقَك دون أن يُحسَّ بالصَّفعة.
ألصَّديق: وهنالك نساءٌ يتلذَّذن بالضَّرب.
زوجة الإبن: الآن بدأتُ أخافُ منك.
ألصَّديق: حسناً تفعلين.
زوجة الإبن: مَن أنت؟ وماذا تريد؟ وما هي نواياك؟
ألصَّديق: كُفِّي عن فضولك يا سيِّدة كرستين.
زوجة الإبن: ها قد عدتَ إلى وقاحتك ثانيةً.
ألصَّديق: والآن إليكِ هذه النَّصيحة الودِّيَّة:ألَم تلاحظي أنَّنا نتشاجرُ دائماً في غياب زوجك؟ هذه ليست علامة جيِّدة.
زوجة الإبن: لأيِّ شيء؟
ألصَّديق: لصداقةٍ طويلة الأمَد. وهذا يوحي في الحقيقة بالحاجة إلى تغيير اتِّجاه صداقتنا إلى اتِّجاهٍ آخر.
زوجة الإبن: أحياناً أشعرُ وكأنَّ بإمكاني أن أكرهَك.

 © Tous droits réservés

ألصَّديق: هذا أمرٌ يُبشِّرُ بالخير... ولكن، ألا تشعرين أبداً وكأنَّ بإمكانك أن تحبِّينني؟
زوجة الإبن: بلى... أحياناً.
ألصَّديق: قولي لي متى؟
زوجة الإبن: أرغبُ فعلاً في أن أردَّ على صراحتك... ولاسيَّما عندما تتحدَّثُ مع أديل.
ألصَّديق: هذا أمرٌ يذكِّرُني بنيران زوجك التي تتأجَّجُ من أجلك ما إن يراني. يبدو لي، وباختصار، أنَّني والآنسة أديل... نتقاسمُ دورَ مَن يؤجِّج النَّارَ في الحطب.
زوجة الإبن (تضحك): إنَّ ما قلتَه لأمرٌ مُضحِك... لدرجة أنَّه لا يدعُ لي مجالاً كي أغضب.
ألصَّديق: لا ينبغي أن تغضبي أبداً... فذلك يلائمُ الكثيرَ من النَّاس، كما يلائمُك أنتِ. ولأجل تغيير الموضوع فقط... أين زوجُكِ؟ (ينهضُ ثمَّ ينظرُ من النَّافذة).
زوجة الإبن (تنظرُ هي الأخرى من خلال النَّافذة).
ألصَّديق: لم أقصدْ جلبَ انتباهكِ إلى ما يجري هناك في الحديقة.
زوجة الإبن: وكأنِّي لم أرَ كنوتَ وهو يُقبِّلُ أديلَ من قبلُ.
ألصَّديق: أمَّا وأنَّ الآنسة أديل لا تستطيعُ أن تُثيرَ أحاسيسَ زوجكِ تجاهك، فهذا أمرٌ يُقلقُني. هنالك أمورٌ كثيرةٌ في هذا المنزل تقلقُني هذا العام... أتعلمين؟... يقيناً هنالك شيءٌ ما يتفسَّخُ تحت لوح الأرضيَّة.
زوجة الإبن: كيف؟ أنا لا ألاحظُ شيئاً... وبالمناسبة، فإنَّ كلَّ ذلك مجرَّد لعبة.
ألصَّديق: أجل، إنَّكم تلعبون بأعواد الثِّقاب، بسكاكين الصَّيد، بعبوات الدِّيناميت. أعتقدُ أنَّ هذا لأمرٌ مُرعِب.

ألمشهدُ العاشر

ألشَّخصان السَّابقان مع الأب مُعتَمِراً قبَّعتَه.

ألأب: هل كنوت هنا؟
زوجة الإبن: كلاَّ... لقد خرج إلى السُّوق... أتريدُ منه شيئاً؟
ألأب: نعم، وإلاَّ لما سألتُ عنه. هل رأيتِ أديل إذاً؟
زوجة الإبن: لا، ليس منذ أمدٍ طويل.
ألأب (يتنبَّهُ إلى وجود الصَّديق): عَفواً، لم أتنبَّه إلى وجودك... كيف حالُك؟
ألصَّديق: شكراً، كي حالُك أنت؟
زوجة الإبن: هل من خدمةٍ أستطيعُ أن أُسديَها لك؟
ألأب: نعم، إن كنتِ لا تمانعين في ذلك. لكن، ربَّما يضايقكما وجودي. سأعودُ في وقتٍ آخر.
زوجة الإبن: كيف يُمكنُ أن يضايقَنا وجودُك؟
ألأب: إذاً، هناك بعوضٌ في غرفة نومي، لذلك فكَّرتُ في أن أسألَ إن كان بإمكاني أن أنامَ في غرفة السَّقيفة.
زوجة الإبن (بغَضَب): لقد أعطيت السَّيِّدَ آكسِل تلك الغرفة.
ألأب: هكذا... هل سيُقيمُ هنا؟ لو كنتُ أعلمُ بهذا لما اقترحتُ ذلك أبداً.
ألصَّديق: وأنا الآخر، لم أكُن لأقبلَ باقتراح ابنكم لو كنتُ على علمٍ بأنَّ السَّيِّدَ...
ألأب: لا داعيَ لذلك، لن أزعجكما... فالبقاءُ بين الجِلد والعَظم ليس أمراً حسناً. (صَمت). ألَم يبدأ كنوت بالرَّسم بعد؟

 © Tous droits réservés

زوجة الإبن: كلاّ... إذ لا رغبة له في ذلك.
ألأب: ما كانت لكنوت رغبةٌ في العمل أبداً، ورغبتُه في العمل الآن أقلّ من رغبته من قبل.
زوجة الإبن: هل لديك شيءٌ أخرُ تُريدُ قولَه؟
ألأب: كلاً، لم يعُد ثمَّة شيء ذو أهمِّيَّة. لا تُخبري كنوتَ بما قلتُه حول موضوع الغرفة.
زوجة الإبن: هذا ما لن أفعلَه ببالغ السُّرور.
ألأب: أتفهمين، أنا لا أحبُّ أن أتسبَّبَ الشِّجارَ من أجل لا شيء. فلو لم تكُن الغرفةُ مَشغولةً لكان الأمرُ مختلفاً... ولكان بوسعي أن أنامَ فيها... أمَّا وهي الآن مَشغولة... حسناً، أستودعُكم الآن (يخرج).

ألمشهدُ الحادي عشر

ألصَّديق وزوجة الإبن.

ألصَّديق: معذرةً يا سيِّدة كرستين، فإنِّي مُضطَّرٌّ إلى أن أتركَكِ لبرهةٍ قصيرة.
زوجة الإبن: إلى أين تخرجُ على الفَور، هكذا؟
ألصَّديق: هذا ما لا أستطيعُ البَوحَ به.
زوجة الإبن: تخرجُ كي تستأجرَ غرفة؟... لا ينبغي لك أن تفعلَ ذلك. (تحاولُ أن تأخذَ منه قبَّعتَه) كلاً، لا ينبغي لك أن تذهب... بالمناسبة، لسنا نحن الذين طرَدوك.

ألمشهدُ الثَّاني عشر

ألشَّخصان السَّابقان مع الإبن.

ألإبن: ما هذا؟ هل تشاجرتما؟ أم إنَّ الأمرَ مجرَّدُ تعبيرٍ عن الحبّ؟
زوجة الإبن: إنَّه مجرَّدُ خصامٍ بين المُحبِّين... كنوت، هل تتصوَّر أنَّ هذا الشَّخصَ المتوتِّرَ أرادَ أن يخرجَ للبحث عن غرفة... ذلك لأنَّ الأبَ جاءَ إلى هنا طالِباً غرفة السَّقيفة؟
ألإبن: كان يُريدُ غرفة السَّقيفة؟... طبعاً، كان يُريدُ أن يعرفَ ما الذي كان يجري بينكما. ولهذا السَّبب بالذَّات تريدُ أن تغادرَنا؟... إركَعْ على ركبتَيك أمامَ السَّيِّدة طالباً الصَّفح. (يَجثو الصَّديقُ على الرّكبتَين) قَبِّلْ قدمَها... إنَّ لها قدمَين جميلتَين... (يطبعُ الصَّديقُ قُبلةً على قدَمها، ثمَّ يعتدلُ واقفاً) الآن وقد طلبتَ الصَّفح، سأخرجُ باحثاً عن غرفةٍ لي. وَداعاً مؤقَّتاً (يخرجُ على الفَور).
زوجة الإبن (مُنزَعِجَةً): السَّيِّد آكسِل...

ألمشهدُ الثَّالث عشر

ألإبن وزوجة الإبن.

زوجة الإبن: أرى أن ليس من الحشمة من الأب حقّاً أن يتدخَّلَ على هذه الشَّاكِلة ويُخلَّ بهدوء المنزل... لن نتمتَّعَ بلحظةٍ من الهدوء لا في اللَّيل ولا في النَّهار.

 © Tous droits réservés

ألإبن: علينا أن نرضى بالأمر الواقع. وأمَّا أنتِ فكان بإمكانك أن تكبحي جماحَ عواطفك قليلاً.
زوجة الإبن: أيَّة عواطف؟ ماذا تعني؟ أتَغار؟
ألإبن: ماذا؟ لا أفهم ما تقصدين... أنا أعني إحساسَك بالنُّفور من الأب.
زوجة الإبن (تحاولُ أن تغيِّرَ الحديث): والآن، لن نمضيَ في الحديث عن الأحاسيس أبعدَ من هذا. خُذ هذا اللِّفافَ كي تبدوَ إنساناً اعتياديّاً (تُخرجُ علبةً من جيبها).
ألإبن: لِفافُ عنقٍ جديدٌ آخر؟ وأزرقُ اللَّون.
زوجة الإبن (تعقدُ لِفافاً أزرقَ اللَّون حول عنق كنوت): طبعاً، لا ينبغي لك أن تخرجَ في ملابسَ مُتَّسِخَةٍ، وعليك أن تفتلَ شاربَيك.
ألإبن: أتعلمين، إنَّك الآن واضحةٌ جدّاً.
زوجة الإبن: ماذا تقصد؟
ألإبن: ربَّما ينبغي لي أن ألبسَ ملابسَ فاتحة اللَّون وحذاءَ تِنِس أيضاً.
زوجة الإبن: أجل، فكلُّ ذلك يناسبُك... لأنَّك بدأتَ تُصبحُ بَديناً ومُكتَنِزاً.
ألإبن: وتريدينني أن أنحفَ قليلاً وأن أبدوَ مُنهاراً بعض الشَّيء. إذاً، لا ينقصُني سوى الطَّلاق.
زوجة الإبن: كنوت... لقد بدأتَ تَغار.
ألإبن: ربَّما لأنَّك تجاوزتِ الحدّ... ولكن، هذا أمرٌ غريب... أنا أغارُ دون أن أشعرَ بالحسد والشَّرّ. إنِّي أحبُّ هذا الرَّجلَ لدرجة أنِّي لا أستطيعُ أن أبخلَ عليه بشيء... بأيِّ شيء.
زوجة الإبن: بأيِّ شيء؟ هذا كثيرٌ جدّاً.
ألإبن: أجل... هذه هي الحقيقة... إنَّه لآمرٌ جنونيٌّ، إجراميٌّ، دنيء... لكن، لو أنَّه رغبَ أن ينامَ معكِ لسَمَحتُ له بذلك.
زوجة الإبن: إنَّك الآن خطيرٌ جدّاً... لقد سمعتُ من فمك الكثير، وتحمَّلتُ الكثير.
ألإبن: ليس في وسعي أن أفعلَ شيئاً إزاءَ هذا الأمر... أتعلمين، ثمَّة رؤًى تُطاردُني في النَّوم واليَقظة معاً. يتراءى لي أنّي أراكما معاً. ولا أُعاني بسبب ذلك... بل بالأحرى إنِّي أستمتعُ بذلك كما لو كنتُ أشاهدُ شيئاً جميلاً جدّاً.
زوجة الإبن: لقد تجاوزتَ الحدّ.
ألإبن: ربَّما إنَّها حالةٌ غير اعتياديَّة، لكنِ اعترفي أنَّها حالةٌ طريفةٌ إلى حدِّ اللَّعنة.
زوجة الإبن: أتعلمُ ماذا؟ أحياناً أظنُّ أنَّك تريدُ أن تتخلَّصَ منِّي.
ألإبن: إنَّك لا تظنِّين ذلك.
زوجة الإبن: بلى، أظنُّ ذلك... يبدو لي وكأنَّك تدفعُ بآكسِل نحوي كي يسقطَ بين ذراعيَّ وتفوزَ بحجَّةٍ ضدِّي وتكونَ بذلك قادِراً على الطَّلاق.
ألإبن: يا للرَّوعة، كرستين، أخبريني... هل سبقَ وأن تبادلتما القُبَل؟
زوجة الإبن: كلاَّ، أقسمُ بحياتي.
ألإبن: عِديني بأنَّك ستُخبرينني بذلك بصراحةٍ حالما تحلُّ تلك اللَّحظة.
زوجة الإبن: أصغِ إليَّ، كنوت... ينبغي لك أن تتعقَّل.
ألإبن: تماماً، لا أريدُ أن أكونَ مَخدوعاً... لا أريدُ الافتراقَ أيضاً... ولكنِّي أفضِّلُ الافتراقَ على أن أكونَ مَخدوعاً.
زوجة الإبن: كُفَّ عن مواعظِك، وسأبدأ أنا بإلقاء مواعِظي... أيَّة علاقة تربطُك بأديل؟
ألإبن: تلك العلاقة التي تعرفينها وتتقبَّلينها.
زوجة الإبن: أنا لم أتقبَّل أيَّ خيانةٍ زوجيَّة.
ألإبن: الآن بدأت تقولين هذا... فالذي كان مجرَّدَ أمرٍ بريءٍ قبل قليل يُعَدُّ الآن جريمة.

زوجة الإبن: تماماً كعلاقتي البريئة بآكسِل قبل قليل.
ألإبن: إنَّها علاقة بريئة اليوم... ولكن، مَن يعرف كيف ستكونُ غداً؟
زوجة الإبن: إذاً، إنتظِر إلى يوم الغد.
ألإبن: لا... لا أريدُ أن أنتظرَ إلى حين يكونُ الأوانُ قد فات.
زوجة الإبن: ماذا تريدُ إذاً؟
ألإبن: لا أعرفُ ماذا أريد... نعم أعرف... نهايةً لكلِّ هذا، إن كانت هناك نهاية... لقد نسَجنا الشَّبكة بأنفسنا، وها نحن قد وقعنا فيها. أوَّاه كَم أحقدُ عليه في غيابه. ولكن، ما إن أراه ثانيةً، وبالذَّات عندما يركِّزُ عينَيه الواسعتَين عليّ، حتَّى أبدأ أحبُّه كأخ، كأخت، كزوجة. إنِّي أفهمُ الآن كيف أنَّك وقعتِ تحت تأثيره... ولكنِّي لا أفهمُ نفسي تماماً، يبدو وكأنَّني عشتُ فترةً طويلةً بين النِّساء حتَّى إنَّ أحاسيسي غدت أحاسيسَ نسائيَّةً... وكأنَّ حبَّكِ له انتقلَت عَدواهُ إليّ. أعتقدُ أنَّك تحبِّينه حبّاً لا حدودَ له، لكنَّك لا تُدركين ذلك. مثلكِ أنتِ، إنِّي على وَشك الجنون.
زوجة الإبن: هذا ما أراه...
ألإبن: ولا تشعرين بالأسى عليَّ؟
زوجة الإبن: هل ينبغي لي أن أشعرَ بالأسى عليكَ وأنتَ تعذِّبُني؟
ألإبن: إنَّكِ لم تُحبِّيني قطّ.
زوجة الإبن: إنَّكَ أنتَ مَن لم يُحبَّني قطّ.
ألإبن: ها قد بلغنا حدّاً من الشِّجار يكفي لبقيَّة أيَّامنا مدى الحياة.
زوجة الإبن: لِنَكفَّ عن الشِّجار قبل أن يفوتَ الأوان. إذهَبْ واستحمَّ في البحيرة كي يهدأ بالُك.
ألإبن: إنَّكِ تريدين الاختِلاء بنفسك.

ألمشهدُ الرَّابع عشر

ألشَّخصان السَّابقان مع الصَّديق.

ألصَّديق (بانفتاحٍ وبَشاشة): حسناً... لقد كنتُ مَحظوظاً... ما إن خرجتُ حتَّى صادفتُ الآنسة أديل التي تملكُ غرفةً في...
زوجة الإبن: أتملكُ هي الأخرى غرفةً للإيجار؟
ألصَّديق: كانت تعلمُ بوجود غرفة.
زوجة الإبن: هذه الفتاةُ تعلمُ كلَّ شيء.
ألصَّديق (يُخاطبُ الإبنَ ويقدِّمُ إليه علبة السَّجائر): سيجارة؟
ألإبن (بحدَّة): كلاَّ... شكراً.
ألصَّديق: يا له من لِفافٍ جميل.
ألإبن: أتَراه جميلاً؟
ألصَّديق: لقد كنتما تتحدَّثان عنِّي بسوءٍ في أثناء غيابي.
ألإبن (بانفِعال): أرجو المعذرة... يجبُ أن أذهبَ للسِّباحة (يخرجُ على الفَور).

ألمشهدُ الخامس عشر

ألصَّديق: ما به؟
زوجة الإبن: الغيرة.
ألصَّديق: هكذا... ولكن، ليس هنالك ما يدعو إلى ذلك.
زوجة الإبن: كنوت يدَّعي ذلك. أين تقعُ الغرفةُ التي تحدَّثت أديل عنها؟
ألصَّديق (شاردَ الذِّهن): أديل... آه، نعم... هناك، في الجهة المواجِهَة لحَوض السُّفن.
زوجة الإبن: لقد تمَّ التَّحسُّبُ للأمر من كلِّ النَّواحي... سيكون بوسعكما الالتقاءُ في غرفتها... يا لها من دَسيسة.
ألصَّديق: يقيناً إنَّ أديل لم تفكِّر في هذا مُطلَقاً.
زوجة الإبن: أديل؟ هكذا... هل أصبحت علاقتكما حميمَةً إلى هذه الدَّرجة؟
ألصَّديق: لا تختلِقي أشباحاً لا وجودَ لها في الواقع. إيَّاكِ أن تفعلي هذا، وإلاَّ...
زوجة الإبن: وإلاَّ ستسافرُ كالعادة؟... والآن، لا ينبغي لك أن تسافر، لا حقَّ لك في ذلك.
ألصَّديق (يُشعلُ سيجارة): ربَّما هو واجبٌ عليَّ.
زوجة الإبن: لو كنتَ صديقي لَما تركتَني وحيدةً من دون حماية في هذا المنزل حيث شَرفي مُهدَّد. هنا حيث زوجي المجرم، بحمايةٍ من والدَيه، يسمحُ لنفسه بممارسة كلِّ الدَّناءات. هل بإمكانك أن تتصوَّرَ أنَّه بلغَ حدّاً من الانحِطاط حتَّى إنَّه أبدى استعدادَه للتَّخلِّي لكَ عنِّي وقتَ الحاجة؟
ألصَّديق: إنَّها صورةٌ جميلةٌ من صُوَر الغيرة. وماذا كان ردُّكِ على ذلك؟
زوجة الإبن: وبِمَ أردُّ عليه؟
ألصَّديق: أنا مَن يسأل.
زوجة الإبن (بهستيريا): إنَّك كالقطِّ تلعبُ بفَريستك. أنتَ تعلمُ كيف سقطتُ أسيرةً في شِباكك... كم أعاني وأحاولُ وأجاهدُ كي أتحرَّر، لكنِّي لا أفلحُ في ذلك. أشفِق عليَّ... ألقِ عليَّ نظرةَ عطفٍ واحدة. لا تقِف هكذا كلوحةٍ خاليةٍ من الأحاسيس... لوحةٍ تنتظرُ التَّأليهَ والتَّضحية. (تجثو على ركبتَيها) أنتَ قويّ، قادرٌ على كَبت عواطفك... مُعتَزٌّ بنفسك وفخور، ولهذا لم تُحبَّ قطّ. إنَّك لم تُحبَّ أبداً مثلما أحببتُكَ أنا.
ألصَّديق: أنا لم أحبَّ أبداً؟... إنهضي يا سيِّدة كرِستين... إنهَضي واجلسي هناك على تلك الأريكة، فسأتحدَّثُ إليكِ. (يجلسُ والسِّيجارةُ في يده) لقد أحبَبتُك، كما يُقال، منذ اللَّحظة الأولى التي رأيتُك فيها. هل تذكرين غروبَ الشَّمس في ذلك اليوم الذي فيه تعرَّفتُ بك وإليك العامَ الماضي؟ كان زوجُك منهمِكاً في الرَّسم عندما مَرَرتُ عليك. وبعدما تعارَفنا، مَضينا نتحدَّثُ معاً إلى أن أنهكَنا التَّعب، فجلستِ على العشب، ثمَّ طلبتِ منِّي أن أفعلَ مثلك. كان معطفُك مُبتَلاً بفِعل النَّدى، فخشيتُ على ملابسي من البَلَل. حينذاك سارعتِ بفَتح أزرار معطفك، ودعوتِني إلى الجلوس على أحد أطرافه. شعرتُ وكأنَّك فتحتِ لي ذراعَيك ودعَوتِني لأنعمَ بالهدوء في حضنك. لم أكُن سعيداً بالمرَّة... كنتُ منهَكَ القوى، ووحيداً... فشعرتُ بالدِّفء والنُّعومة. وَدَدْتُ لو أتسلَّلُ تحت المعطف لأتحسَّسَ جسدَك الدَّافئ البِكر، لكنِّي خجلتُ عندما لمحتُ في نظرتك البريئة ابتسامةً ذابلة. ربَّما كانت تعبيراً عن دهشتِك من رجلٍ مثلي وهو يُعاني من الاضطِّراب. بعد ذلك رُحنا نلتقي أكثرَ وأكثر. يبدو أنَّ زوجَك كان يتلذَّذُ بإعجابي بك. بدا لي وكأنِّي اكتشفتُ له زوجتَه. لقد سقطتُ في شِباككما وبدأتما تلعبان بي. فزوجُك لم يتردَّد في السُّخرية منِّي عَلَناً وحتَّى في حضور جَمعٍ غفيرٍ من النَّاس. لقد عانَيتُ كثيراً بسبب حبِّه لذاته ورضاه عن نفسه، حتَّى أوشكَ بي الأمرُ أن أزيحَه جانباً لأحلَّ محلَّه بنفسي. أتذكرين تلك الأمسيَةَ التي دعوتكما فيها إلى حفلة عيد ميلادي؟... كان

من المفروض أن تحضري في وقتٍ متأخِّرٍ من المساء. وبعد ساعةٍ من الانتظار، دخلتِ الصَّالة في تنُّورةٍ بنفسجيَّةٍ ورداءٍ مزهرٍ فاتح اللَّون مع قبَّعةٍ كبيرةٍ مُغطَّاةٍ بنسيجٍ شفَّافٍ كانت تعكسُ شعاعاً ذهبيّاً على جسدك. وعندما أهديتِني باقة ورودك... بجرأة خجل فتاةٍ في الرَّابعة عشرة... كنتِ جميلةً جمالاً أخَّاذاً. حينذاك انعقدَ لساني، ولم أعُد قادراً على التَّعبير عن ترحيبي بمقدمك، فخرجتُ ورُحتُ أبكي.

زوجة الإبن: أنتَ بإمكانك، على الأقلّ، أن تُسيطرَ على مشاعرك.

ألصَّديق: هل تذكرين كيف رُحنا في اللَّيل، وبعد العشاء، نتحدَّثُ عن ذكرياتنا ساعات، ثمَّ تعانقت أرواحُنا. وكيف أنَّ كنوت طلبَ منِّي ومن دون أن يَعِيَ ذلك، أو على الأرجح نزولاً عند رغبتك، أن أُقيمَ عندكم في الشِّتاء. أتذكرين ما كان رَدِّي؟

زوجة الإبن: كان ردُّك على هذا النَّحو: لا أجرؤ.

ألصَّديق: وفي صباح اليوم التَّالي سافرت.

زوجة الإبن: بكيتُ طوالَ ذلك اليوم... كنوت هو الآخر بكى.

ألصَّديق: تصوَّري كَم من الدُّموع سنذرفُ الآن إذاً.

زوجة الإبن: الآن؟

ألصَّديق: إجلِسي كما كنتِ... والآن، بعدما قُلنا كلَّ ما أردنا قولَه، بقيَ علينا أن نفترق.

زوجة الإبن: لا... لا... لن نفترق. ولماذا لا يُمكنُ أن يكونَ الأمرُ كما كان في الماضي؟ أنتَ هادئٌ وأنا مُضطَّربة. لن يدخلَ كنوت في مشاعرنا إن كنَّا قادرَين على التَّحكُّم فيه. نحن نجلسُ هنا لنناقشَ بهدوء ما جَرى لنا في الماضي... كزوجَين تقدَّمَ بهما العمر، وهما الآن يسردان ما جَرى لهما من قصص الحبِّ أيَّامَ الشَّباب.

ألصَّديق: آه... أنتِ أيَّتها الطِّفلةُ المسكينة، لا أفهمُ كيف تزوَّجتِ وأنتِ تثقين بالصَّداقة بعد المصارحة في الحبّ. هادئٌ أنا... هادئٌ ككيسٍ من البارود تحت فتيل النَّار... أنا باردٌ كأتونٍ مُتَّقِد... آه، لقد كافحتُ وعذَّبتُ نفسي. لكنِّي لست المُلامُ في ذلك...

زوجة الإبن: وهل أنا المُلامُ في ذلك؟

ألصَّديق: أجل... أعتقدُ ذلك، أنتِ التي تقوى على إخماد النَّار حالَ اشتعالها، لكنِّي أعيشُ وحدي... يا لها من فكرة شيطانيَّة. وهل تعتقدين أنِّي، بعد كلِّ هذا، راغبٌ في العيش في هذا المنزل وعلى فتات الرَّجل الغنيّ؟... أستنشقُ الهواء... أشربُ رحيقَ الزُّهور، أعيشُ مع الشُّعور بالذَّنب؟

زوجة الإبن: ولِمَ تُعاني من الإحساس بالذَّنب، في حين لا يتردَّدُ هو في تقبيل عشيقته؟

ألصَّديق: دَعينا لا نُلقي باللَّوم على الآخرين... دَعينا لا نُلقي باللَّوم على الآخرين، وإلاَّ فسنجدُ أنفسَنا على شفا الهاوية فالغرق في البحيرة. لنكُن واقعيِّين، ولو لمرَّةٍ واحدة. دَعينا نُثبتُ للعالم أنَّنا مثالان للنَّاس الشُّرفاء... سنُخبرُ كنوت بحقيقة الأمر حالَ وصوله. سنقولُ له إنَّ واحدنا يحبُّ الآخر، وسنطلبُ منه أن يُساعدَنا بحلٍّ سَديدٍ لأنَّنا لم نرتكِب ذنباً.

زوجة الإبن: عظيم، إنَّه لأمرٌ نبيل... أجل، هذا ما سنفعلُه، وليَحدُث بعد ذلك ما يحدُث... وبإمكاننا أن نفعلَ ذلك بضميرٍ حَيّ، بما أنَّنا لم نقترف أيَّ جريمة.

ألصَّديق: وبعد ذلك سيطلبُ منِّي الرَّحيل.

زوجة الإبن: أوِ البقاء.

ألصَّديق: بأيِّ شرط!؟... بشرط أن يعودَ كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه في الماضي؟ هذا ما لا أستطيعُ أن أتحمَّلَه... أتعتقدين أنِّي بعد كلِّ هذا أتحمَّلُ رؤية مداعباتكم، أسمعُكم وأنتم تُغلقون بابَ غرفة النَّوم مساءً؟... لا... لا أرى نهايةً لكلِّ هذا. لكنَّه يجبُ أن يطَّلِعَ على حقيقة الأمر، وإلاَّ فلَن أقوى على النَّظر في وجهه أو أن أُصافحَ يدَه بعد هذا... علينا أن نُخبرَه بكلِّ شيء.

 © Tous droits réservés

زوجة الإبن: آهٍ لو تمضي تلك السَّاعةُ الآتيَة. قُل إنَّك تحبُّني، وإلاَّ فلَن تكونَ لديَّ الشَّجاعةُ لأغرزَ فيه السِّكِّين... قُل إنَّك تحبُّني.
ألصَّديق (يبقى جالِساً، وكذلك زوجة الإبن): أحبُّكِ روحاً وجسداً... أحبُّ قدمَيك الصَّغيرتَين اللَّتَين أراهما من وراء أهداب فستانك... أحبُّ أسنانك البيضاء الصَّغيرة... أحبُّ فمَك المَخلوق للقُبَل... أحبُّ أذنَيك وعينَيك الشَّفوقتَين الشَّهوانيَّتين... أحبُّ جسدَك الخفيف كالهواء... أتمنَّى لو أحملُه على كتِفَيَّ وأهربُ به إلى الغابة. ذات مرَّة، وكنتُ شابّاً، إلتقيتُ فتاةً في أحد الشَّوارع، فحملتُها أربع طوابق. كنتُ شابّاً في ذلك الوقت. تصوَّري أنِّي رجلٌ ناضجٌ الآن.
زوجة الإبن: أتحبُّ روحي أيضاً؟
ألصَّديق: أحبُّ روحَكِ لأنَّها أضعفُ من روحي... لأنَّها مُلتَهِبَةٌ كروحي، ولا إيمانَ لها كروحي.
زوجة الإبن: هل لي أن أنهضَ وأقتربَ منك؟
ألصَّديق: كلاَّ.
زوجة الإبن: كنوت قادم، إنِّي أسمعُ خطواتِه ولا أملكُ الشَّجاعة إذْ لم أقبِّل جبينَك.
ألصَّديق: أهو مُقبِل؟
زوجة الإبن: صَه!

ألمشهدُ السَّادس عشر

ألشَّخصان السَّابقان، يدخلُ عليهما الأب وقبَّعتُه في يده.
يتقدَّمُ رأساً من الصَّديق الذي ينتفضُ ويهبُّ واقفاً.

ألأب (يأخذُ جريدةً كانت على طاولة خلفَ الصَّديق): أطلبُ المعذرةَ إن كنتُ قد أزعجتكما... سآخذُ الصَّحيفة فقط. (ومُخاطباً زوجة الإبن) هل رأيتِ أديل؟
زوجة الإبن: هذه المرَّة الخامسة وأنتَ تسألُ عن أديل.
ألأب: هل كنتِ تعدِّين ذلك؟ ألا تنوين السِّباحة قبل الإفطار؟
زوجة الإبن: كلاَّ، ليس اليوم.
ألأب: من غير الصَّائب أن تُهملي السِّباحة طالما أنَّ صحَّتَكِ عليلة. (سكوت، يخرجُ الأب).

ألمشهدُ السَّابع عشر

ألصَّديق وزوجة الإبن.

ألصَّديق: لن أستطيعَ البقاءَ أكثر من هذا، لا أطيقُ هذا.
زوجة الإبن (تقتربُ منه وتحدِّقُ فيه بعيونٍ مُتَّقِدَة): هل نهربُ معاً؟
ألصَّديق: كلاَّ... سأهربُ وحدي.

زوجة الإبن: إذاً، سأهربُ أنا أيضاً. ولنَمُتْ معاً.
ألصَّديق (يأخذُها بين ذراعَيه ويقبِّلُها): لقد هلكنا، لِمَ فعلتِ ذلك؟ هذه هي نهايةُ الشَّرف والثِّقة، نهايةُ الصَّداقة... نهايةُ الأمان. إنَّ نيرانَ الجحيم تحرقُ ما كان أخضرَ ومُزهراً، وتلتهمُه... أوه.

 © Tous droits réservés

(يفترقان، ثمَّ يجلسُ كلٌّ منهما على مقعده)

ألمشهدُ الثَّامن عشر

ألشَّخصان السَّابقان، ثمَّ يدخلُ الإبن.

ألإبن: لِمَ تجلسان هكذا بعيدَين؟
زوجة الإبن: لأنَّ...
ألإبن: وتبدوان هكذا حزينَين؟
زوجة الإبن: لأنَّنا مُتحابَّين.
ألإبن (يتفحَّصُها برهةً ثمَّ، مُخاطباً الصَّديق): هل هذا صحيح؟
ألصَّديق: نعم، هذا صحيح.
ألإبن (يجلسُ مُنهاراً نوعاً ما): ولِمَ تُخبرانني بذلك؟
زوجة الإبن: هذا ما يجبُ أن يفعلَه الإنسانُ الشَّريف.
ألإبن: إنَّه تعبيرٌ عن الأصالة، لكن لا حياءَ فيه.
زوجة الإبن: أنتَ طلبتَ منِّي ذلك بنفسك، عندما تحينُ اللَّحظة...
ألإبن: صحيح، واللَّحظةُ حانَت. يبدو وكأنِّي كنتُ أعلمُ هذا من قبل، وعلى الرَّغم من ذلك فهو، بالنِّسبة إليّ، أمرٌ جديدٌ وغير مفهوم. خطأُ مَن هذا؟ ليس الخطأُ خطأَ شخصٍ واحدٍ فقط، وإنَّما هو خطأُ الجميع في وقتٍ واحد... ماذا علينا أن نفعلَ الآن؟ وماذا سيحدث؟
ألصَّديق: ألديك انتقادٌ حول سلوكي؟
ألإبن: لا شيء... إنَّك هربتَ عندما أدركَك الخطر... رفضتَ دعوتَنا للمكوث عندنا... أخفيتَ عواطفَك حتَّى إنَّ كرستين كانت تتصوَّرُ أنَّك كنتَ تكرهُها... ولكن، لماذا عُدتَ ثانيةً؟
ألصَّديق: ذلك لأنِّي توهَّمتُ أنَّ عواطفي كانت قد ماتت.
ألإبن: هذا محتمَلٌ، وأنا أثقُ بك. ها نحن جالسون إزاءَ حالةٍ لم نخلقْها بأنفسنا ولم نكُن قادرين على منعها. لقد حاولنا صدَّ الخطر من خلال انفتاحٍ مزيَّف، ورُحنا نسخرُ من هذا الخطر حتَّى راحَ يقتربُ منَّا، وهو الآن يجثمُ علينا. ما عَسانا نفعلُ الآن؟ لنتحدَّث بهدوءٍ وكأصدقاء في اللَّحظة الأخيرة. ماذا ينبغي لنا أن نفعل؟ (صَمت) لا أحدَ يُجيب... ولكن ينبغي لنا ألاَّ نجلسَ مَكتوفي الأيدي ونراقبَ السَّطحَ وهو يلتهبُ فوقنا. (يهبُّ واقِفاً) دَعونا نفكِّرُ في النَّتائج.
ألصَّديق: الحلُّ الأمثَلُ في أن أنسحبَ إلى الوراء.
ألإبن: أعتقدُ ذلك.
زوجة الإبن (بهياج): كلاَّ، لا يجوزُ ذلك، سأتبعُك أينما ذهبتَ إن فعلتَ ذلك.
ألإبن: أهكذا يكونُ التَّحدُّثُ بهدوء؟
زوجة الإبن: الحبُّ ليس هادئاً (تقتربُ من الصَّديق).
ألإبن: جَنِّباني على الأقلّ مشهدَ شَبَقكما... أرجو أن تُراعيا شعوري... لأنِّي أنا بريءٌ بالمقارنة إليكما، وعلى الرَّغم من ذلك أنا مَن يُعاني دوماً.
زوجة الإبن (تُحيطُ عنقَ الصَّديق بذراعَيها): لا ينبغي لك أن ترحل، أتسمعني؟
ألإبن (يُمسكُ بذراع زوجته ويفصلُها عن الصَّديق): ينبغي لكما أن تتصرَّفا كأناسٍ مهذَّبين، وأن تتريَّثا إلى أن أفترقَ عنكما... أتسمعني يا صديقي؟ يجبُ علينا أن نجدَ حلاً فوريّاً، لأنَّ جرسَ حلول موعد الإفطار سيدقُّ بعد لحظات. أرى أن حبَّك لا يُغلَب، وأمَّا حبِّي فيُمكنُ التَّغلُّبُ عليه

دار نعمان للثقافة © Tous droits réservés

ببَذل شيءٍ من المجهود. أن أعيشَ مع امرأةٍ تحبُّ رجلاً آخرَ أمرٌ غيرُ مُرضٍ بالنِّسبة إليّ، لأنِّي آنذاك أرى نفسي وكأنِّي أملكُ قروناً. لذا، سأتخلَّى لك عنها، ولكن، ليس قبلَ أن تُعطيني ضماناً بزواجها.
ألصَّديق: لا أفهمُ الأمر، ولكنَّ عرضَك النَّبيلُ يُهينُني أكثرَ من إحساسي بالجرم لو كنتُ قد سرقتُها.
ألإبن: أظنُّ ذلك، فأقلُّ إهانةً أن أمنحَ باختياري من أن أُسرَق. أمامكم خمسُ دقائقَ للوصول إلى قرارٍ في الأمر... وَداعاً الآن.

ألمشهدُ التَّاسع عشر

ألصَّديق وزوجة الإبن.

ألصَّديق: ألا ترَينَني مَثاراً للسُّخرية؟
زوجة الإبن: كلاَّ، أن تكونَ شريفاً ليس مَدعاةً للسُّخرية.
ألصَّديق: ليس دائماً. ولكن، في هذه الحالة، يبدو أنَّ الزّوجَ أقلُّ موضِعاً للسُّخرية... وأمَّا أنتِ فستحتقرينَني ذات يوم.
زوجة الإبن: أهذا كلُّ ما تستطيعُ قولَه في لحظةٍ كهذه؟ الآن... ليس هناك شيءٌ يقفُ حائلاً بيننا. بإمكانك الآن أن تفتحَ لي ذراعَيك بضميرٍ حَيّ... أنتَ متردِّدٌ الآن.
ألصَّديق: نعم، إنَّني متردِّدٌ لأنَّ هذه الصَّراحة صارت تأخذُ شكلَ الوقاحة... وإنَّ لهذا النُّبل طعمَ القساوة.
زوجة الإبن: هكذا... هكذا.
ألصَّديق: يُخيَّلُ إليَّ أنَّ هذه الرَّائحة النَّتِنَة التي لاحظتُها هنا إنَّما تنبعثُ منكِ.
زوجة الإبن: أو منك... فأنتَ الذي لاحقَني بنظراته الخجولة وببرودته المُصطَنَعَة مع تصرُّفاته القاسية التي هيَّجَتني. والآن بدأ الغاوي يمثِّلُ دورَ الرَّجلِ ذي الأخلاق... آه...
ألصَّديق: ربَّما كان الأمرُ على هذا النَّحو، فإنَّكم أنتم...
زوجة الإبن: كلاَّ، إنَّك كنتَ... أنتَ... أنتَ... (تُلقي بنفسها على الأريكة، وتبدأ في الصُّراخ) ساعِدني إذاً... إنِّي أموت... أموت.
ألصَّديق (يظلُّ جامداً).
زوجة الإبن: ألا تستطيعُ أن تساعدَني، ألا تُشفقُ عليّ؟ أنتَ حيوانٌ متوحِّش... ألا ترى أنِّي مريضة؟ ساعِدني... ساعِدني.
ألصَّديق (ما زالَ واقفاً دون حراك).
زوجة الإبن: إستَدعِ لي طبيباً. أدِّ لي على الأقلّ خدمةً من النَّوع الذي يؤدِّيه الإنسانُ لشخصٍ آخر. نادِ لي على أديل. (يخرجُ الصَّديق).

 © Tous droits réservés

ألمشهدُ العِشرون

ألشَّخصان السَّابقان، الأمّ، أديل، وبعد برهةٍ يدخلُ الأب.

ألإبن: والآن حانَ موعدُ تناول الإفطار.
ألأب: نعم، شكراً... هذا ما سنفعلُه تماماً.
ألأمّ: ولكن، أين آكسِل؟ أننتظرُه أم لا؟
ألإبن: كلاّ... لن ننتظرُه مُطلَقاً. لقد رَحل.
ألأمّ: يا له من سيِّدٍ غريب الأطوار. لقد قلَيتُ له سمكَ الدَّاب.
ألإبن (مُخاطباً الأب): الآن بإمكانكما أن تنتقلا إلى الغرفة إن شئتما.
ألأب: شكراً، لم أعُد بحاجةٍ إليها الآن.
ألإبن: لكَ طريقةٌ خارقةٌ في تغيير رأيك بسرعة.
ألأب: لستُ وحيداً في ذلك. ولكنَّ الذي يقدرُ على التَّحكُّم بعقله أفضل من الذي يقدرُ على غزو المدن.
ألإبن: وماذا عن هذا: لا تَقُل لصديقك ارحَل ثمَّ عُد ثانيةً؟
ألأب: قَولٌ حَسَن، من أين جئتَ به؟
ألإبن: هذا ما تعلَّمتُه من كرِستين.
ألأب: كرِستين... آه... كانت خارجةً للسِّباحة؟
ألإبن: كلاّ، لقد أخذت مجرَّدَ حمَّامٍ بارد (يُسمَعُ جرسُ الإفطار).
ألأمّ: إلى المائدة إذاً.
ألإبن (مُخاطِباً الأب): قَدِّم ذراعَك إلى زوجتي، وسأرافقُ أنا أديل.
ألأب: كلاّ... شكراً... كرِستين لكَ وحدَك.

(تُغلَقُ السِّتارة)
***

 دار نعمان للثقافة © *Tous droits réservés*

ألسُّموم

ألأشخاص: بيسكرة، فتاةٌ عربيَّة؛ يوسف، عشيقُها؛
جيمارد، ملازمٌ في جيش المشاة الفرنسيّ في الجزائر
(كان هذا الجيش يتألّف أصلاً من جنودٍ جزائريِّين).
ألمكان: الجزائر.
ألزَّمان: في الزَّمان الحاضر (المقصود زمن الاحتلال الفرنسيّ للجزائر).

مقبرة من الطِّراز العربي. ضريحٌ في الوسط. سجائدُ للصَّلاة مُبَعثَرَةٌ هنا وهناك.
في الجانب الأيمَن محراب. في الخلف بابٌ ومداخلُ أخرى وستائر.
أكوامٌ من الرَّمل هنا وهناك. جذع شجرة الصُّبار مُقتَلَعَةٌ ومُلقاةٌ على الأرض.
سعَفُ النَّخيل على شكل كومة.

ألمشهدُ الأوَّل

تدخلُ بيسكرة مرتديةً رداءً من نوع البرنس مع غطاءِ رأسٍ ينزلُ على وجهها، وهي تحملُ على ظهرها قيثارة. حالَ دخولها تُلقي بنَفسها على إحدى سجَّادات الصَّلاة. تبدأُ بالصَّلاة مع وضع الذِّراعَين على الصَّدر.

بيسكرة: لا إلهَ إلاَّ اللّه.
يوسف (يدخلُ على عَجَل): السّموم قادمة. أين الفرنسي؟
بيسكرة: سيكونُ هنا بعد لحظات.
يوسف: لِمَ لَم تَطعنيه في الحال؟ (يُناديها): بيسكرة، هل بإمكانك أن تحقدي بعدَ كلِّ هذا؟
بيسكرة: إن كان بإمكاني أن أحقد؟ إنَّ حقدي كالصَّحارى لا حدودَ له. حقدي حارفٌ كالشَّمس. إنَّه أقوى حتَّى من حبِّي. كلُّ لحظةٍ من المتعة سرقوها منِّي بعد أن قتلوا عليّاً تجمَّعت في داخلي كالسُّمِّ الزُّعاف تحت ناب الأفعى. وما تعجزُ السُّمومُ عن تحقيقه، بإمكاني أنا أن أحقِّقه.
يوسف: نِعمَ القول يا بيسكرة... يقيناً أنَّك ستفعلين ذلك، وأمَّا أنا فحقدي قد ذَبلَ كعشب الحلفاء في الخريف ما إن وقعَ بَصري عليك. إستمدِّي منِّي القوَّةَ وكوني سهماً في قوسي.
بيسكرة: أُحضُنِّي يا يوسف... أُحضُنِّي.
يوسف: ليس هنا، وفي حضرة هذا الضَّريح المقدَّس. ليس الآن... في ما بعد... بعد أن تكونَ مكافأتُك قدِ استحقَّت.
بيسكرة: يا لك من شيخٍ مُعتَزٍّ بنفسه... يا لك من رجلٍ شَهم.
يوسف: أجل، إنَّ المرأةَ التي ستحملُ نَسلي تحت قلبها، عليها أن تُثبتَ بأنَّها جديرةٌ بهذا الشَّرف.
بيسكرة: أنا وحدي سأحملُ نَسلَ يوسف، وليس غيري. أنا بيسكرة... صحيحٌ أنِّي أنا المُحتَقَرَة، أنا الدَّميمة، لكنِّي أنا القويَّة.
يوسف: حسناً، سأنزلُ لأنامَ عند النَّبع. أينبغي أن أُعيدَ عليك الفنونَ السِّرِّيَّة التي تعلَّمتِها من المرابط الكبير سيدي الشَّيخ، والتي كنتِ تمارسينها في السُّوق الكبير وأنت طفلةٌ صغيرة؟

 © Tous droits réservés

بيسكرة: كلاً، لا حاجة لذلك. إنِّي أتقنُ كلَّ الأسرار المطلوبة لإفزاع أيِّ فرنسيٍّ جبان، الخسيس الذي يزحفُ إلى عدوِّه ويُطلقُ عليه النَّارَ على حين غِرَّة. إنِّي أعرفُ كلَّ الأسرار وحتَّى فنَّ التَّعبير من دون النُّطق. وما ستعجزُ فنوني عن تحقيقه ستقومُ الشَّمسُ بإنجازه بما أنَّ الشَّمسَ إلى جانب يوسف وبيسكرة.
يوسف: الشَّمسُ صديقةُ المسلمين، ولكن لا تنبغي لكِ الثِّقةُ بها. الشَّمسُ ستحرقُك يا فتاتي... خُذي جرعة ماءٍ أوَّلاً، فإنِّي أرى يدَيك قد تشقَّقتا، و...

(يرفعُ يوسف، في أثناء هذا الحوار، سجَّادةً تغطِّي فتحةً في الأرض، يُخرجُ منها آنِيةَ ماء، يقدِّمُها إلى بيسكرة)

بيسكرة (ترفعُ الأنِية إلى فمها): عيناي تبدوان حمراوَين... والجفافُ بدأ يدبُّ في عروقي... إسمَع... إسمَع... هل ترى الرِّمالَ تنهمرُ خلال أخاديد السَّقف وتُطرَبُ من خلال أوتار القيثارة؟ السُّمومُ هنا... لكنَّ الفرنسيَّ لم يحضر بعد.
يوسف: تعالي هنا يا بيسكرة، ودعي الفرنسيَّ يموتُ من تلقاء ذاته.
بيسكرة: الجحيمُ أوَّلاً... والموتُ سيَتبَع. أتعتقدُ أنَّ قواي تخور. (تُلقي بالماء على كومة الرَّمل) سأسقي الرَّملَ كي ينبتَ الثَّأرُ، وسأغرسُ الجفافَ في قلبي. أيَّتها الكراهيةُ انبُتي... أيَّتها الشَّمسُ أحرقِي... وأنتِ أيَّتها الرِّياحُ اخنُقي.
يوسف: بوركتِ يا أمَّ ابن يوسف... إنَّك أنتِ مَن ستُنجبُ المنتَقِمَ ابنَ يوسف.

(الرِّياحُ تشتدّ، السَّتائرُ تتخافَق، ضوءٌ أخضرُ يُغرقُ المكان، ويتحوَّلُ الضَّوء، في أثناء الحوار المُقبِل، وبالتَّدريج، ضوءاً أصفر).

بيسكرة: الفرنسيُّ قادم، والسُّمومُ هنا، إنصَرِف.
يوسف: سأعودُ بعد نصف ساعة. هناك السَّاعةُ الرَّمليَّة (يُشيرُ إليها). السَّماءُ وحدَها تحدِّدُ زمنَ عذاب الكفَّار في الجحيم.

ألمشهدُ الثَّاني

بيسكرة، جيمارد يدخلُ شاحبَ الوجه، متردِّداً، مُضطَرِباً، يتحدَّثُ بصوتٍ مَخنوق.

جيمارد: السُّمومُ أقبلَت... أتعرفين أين انصرفَ قومي؟
بيسكرة: لقد قُدتَ قومَك من الغرب إلى الشَّرق.
جيمارد: من الغرب صوبَ الشَّرق... دَعيني أرى... من الغرب صوبَ الشَّرق... ثمَّ من الشَّرق نحو الغرب. أجلِسيني على مقعَد، وأعطيني شيئاً من الماء.
بيسكرة (تقودُه إلى حيث كومةُ الرَّمل، ثمَّ تمدِّدُه على الأرض ورأسُه على الرَّمل): هل أنت مرتاحٌ في جلستك الآن؟
جيمارد (ينظرُ إليها): جلوسي غير معتدل نوعاً ما. ضَعي شيئاً ما تحت رأسي.
بيسكرة (تجمعُ كومة الرَّمل تحت رأسه): هذه هي وسادةٌ تحت رأسك.
جيمارد: رأسي هناك، حيث رجلاي... أليست رجلاي هناك؟

 © Tous droits réservés

بيسكرة: بلى.
جيمارد: هذا ما خُيِّل إليّ. أعطِني الآن شيئاً أسندُ بها ظهري.
بيسكرة (تسحبُ جذع شجرة الصُّبار وتضعُها تحت ساقَي جيمارد): هناك المسند.
جيمارد: الماء أيضاً... الماء... الماء.
بيسكرة (تأخذُ الوعاء الفرغ وتملأه ماءً ثمَّ تقدّمه إلى جيمارد): إشرَبه ما دام بارداً.
جيمارد (يرتشِفُ منه): إنَّه بارد، ومع ذلك لا يروي الظَّمأ. لا أستطيعُ أن أشربَه... إنِّي أكرهُ الماء... خُذيه.
بيسكرة: هل تتذكَّرِ الكلبَ الذي عضَّك؟
جيمارد: أيَّ كلبٍ تقصدين؟ لم يعضَّني كلبٌ أبداً.
بيسكرة: السُّمومُ أوهنَت ذاكرتَك. إحذَر من هَلوَسات السُّموم. إنَّك تتذكَّرُ ذلك الكلبَ المَسعورَ الذي عضَّك حين خرجتَ للصَّيد للمرَّة ما قبل الأخيرة عند باب الوادي.
جيمارد: الصَّيد في باب الوادي؟... صحيح. أكانت كلبةً بلَون القُندُس؟
بيسكرة: كلبة؟ نعم... أترى... ولقد عضَّتك في بطَّة ساقك. ألا تزالُ تشعرُ بألمٍ في مكان ذاك الجرح؟
جيمارد (يُمسكُ بساقه، ويشعرُ بوَخزٍ من الشَّجرة): نعم أشعرُ بذلك... ماء... ماء.
بيسكرة (تقدِّمُ إليه وعاء الرَّمل): إشرَب، إشرَب.
جيمارد: كلاَّ، لا أستطيع... ماري أيَّتها المقدَّسة، يا أمَّ الرَّبّ، الجَزَعُ يملأني.
بيسكرة: لا تجزَع. سأداويك وسأطردُ عنك الشُّرورَ بقوَّة الموسيقى الطَّلقة... إسمَع...
جيمارد (يصرُخ): علي، علي، لا أريدُ الموسيقى، لا أتحمَّلُها. أيَّ متعةٍ أتلقَّاها منها؟
بيسكرة: الموسيقى تروِّضُ مكرَ الثُّعبان الكامن في الرُّوح. ألا تظنُّ أنَّها ستفلحُ مع كلبٍ مَسعورٍ أيضاً؟ إسمَع... (تغنِّي على صوت القيثارة) بيسكرة... بيسكرة... بيسكرة.
يوسف (من تحت الأرض): سُموم... سُموم.
جيمارد: عَمَّ تغنِّين؟ علي...
بيسكرة: هل غنَّيتُ أنا؟ أترى، سآخذ خوصةً من سعَف النَّخل (تأخذُ خوصةً من سعَف النَّخل وتضعُها بين أسنانها).
يوسف (من تحت): سُموم... سُموم.
جيمارد: يا لها من لعبة جهنَّميَّة شيطانيَّة.
بيسكرة: ألآن سأبدأُ بالغناء.
بيسكرة ويوسف معاً: بيسكرة... بيسكرة... بيسكرة... سُموم.
جيمارد (ينهض): مَن أنتَ أيُّها الشَّيطانُ الذي يُغنِّي بصَوتَين؟ أرجُلٌ أنتَ أم امرأة؟ أم إنَّك الإثنان معاً؟
بيسكرة: أنا عليٌّ الذي دَلَّك على ذلك المكان... أنتَ لا تعرفُني الآن... لأنَّ ذاكرتَك مضطَّربة. فإن أردتَ أن تُنقذَ نفسَك من هَلوَسات الرؤى والأفكار، عليك أن تضعَ ثقتَك فيَّ، وعليك أن تنفِّذَ أوامري.
جيمارد: لا حاجة لكي تطلُبي منِّي ذلك، فأنا أرى الأمورَ تماماً كما تُبصريها أنتِ.
بيسكرة: هل تُبصر أيُّها الوثنيّ؟
جيمارد: الوثنيّ...
بيسكرة: أجل... إخلَع عنك المِدالية التي تحملُ على صدرك. (ينزعُها جيمارد) دُس عليها بقدمَيك... توسَّل إلى الإله الوحيد الرَّحمن الرَّحيم.

 © Tous droits réservés

جيمارد (متردِّداً): يا إدوارد، أيُّها القدِّيس، يا مُنقِذي.
بيسكرة: هل بإمكانه أن يحميَك؟
جيمارد: لا... ليس بإمكانه... (بِضيق) أجل، بإمكانه أن يحميَني.
بيسكرة: إذاً، دَعنا نرى ذلك (تفتحُ الباب، تتطايرُ السَّتائر، العشب يتمايلُ بفِعل الرِّيح).
جيمارد (يسترُ فمَه بيده): أغلِقي البابَ، رجاءً.
بيسكرة: إرمِ الصَّنَمَ الذي تحملُه على صدرك.
جيمارد: كلاَّ، لا أستطيعُ ذلك.
بيسكرة: أترى، إنَّ السُّمومَ لا تمسُّ شعرةً من جسمي، ولكنَّها ستقتلُك أيُّها الوثنيّ... إلقِ بالمِدالية.
جيمارد (يُلقي بالمِدالية): ماء... سأموت.
بيسكرة: أُطلُبِ الصَّفحَ من الرَّبِّ الرَّحيم.
جيمارد: الصَّفح عن ماذا؟
بيسكرة: رَدِّد ما أُمليه عليك.
جيمارد: قولي.
بيسكرة: لا إلهَ إلاَّ اللَّه الرَّحمن الرَّحيم. جيمارد، تمدَّد على الأرض (يستلقي على الأرض مُرغَماً)، ماذا تسمَع؟
جيمارد: أسمعُ خريرَ نبع... أرى نورَ مصباحٍ من خلال نافذةٍ ذات فتحات خضراء تُطلُّ على شارع أبيض.
بيسكرة: ومَن يجلسُ وراء النَّافذة؟
جيمارد: زوجتي أليس.
بيسكرة: ومَن يقفُ وراء السَّتائر مداعِباً بيده عنقَها؟
جيمارد: إبني جورج.
بيسكرة: وكَم هو عمرُه؟
جيمارد: ستكتملُ سنواتُه الأربع في عيد القدِّيس نيكولاي.
بيسكرة: وهو الآن يقفُ خلف السَّتائر مداعِباً عنقَ امرأة رجلٍ آخر.
جيمارد: ليس بإمكانه أن يفعلَ ذلك... ولكن، أحقّاً إنَّه يفعلُ ذلك؟
بيسكرة: عمرُه أربع سنوات وله شاربٌ أصفر.
جيمارد: شاربٌ أصفر... أقُلتِ ذلك؟ آه، هذا صديقي جول!
بيسكرة: الذي يقفُ وراء السَّتائر مداعِباً عنقَ زوجتك.
جيمارد: آه، يا له من شيطان.
بيسكرة: هل ترى ابنَك؟
جيمارد: لا... لم أعُد أراه.
بيسكرة (تقلِّدُ صوتَ دقَّات ساعة بالضَّرب على القيثارة): والآن، ماذا تقول؟
جيمارد: وأسمعُ ساعاتٍ تدقّ... وأشعرُ بطعم الجثث في فمي، وأشمُّ رائحة زبدةٍ مائعَة... يا للجَحيم!
بيسكرة: ألا تسمعُ صوتَ الشمَّاس وهو يرتِّلُ الصَّلاةَ على جثَّة طفل؟
جيمارد: ترَيَّثي... لا أسمعُ شيئاً. (بحُزن) هل تتمنَّين ذلك؟ ها أنذا أسمعُ ذلك الآن.
بيسكرة: هل ترى أكاليلَ الزُّهور على نَعشٍ مَحمول؟
جيمارد: أجل.

 © Tous droits réservés

بيسكرة: إنَّها شرائطُ بنفسجيَّةٌ كُتبَ عليها وبحروفٍ من الفضَّة "وداعاً يا حبيبي جون، من والدك".
جيمارد: أجل... هذا ما أراه... (يبكي)، جورج، إبني... إبني جورج... يا طفلي العزيز. أليس، زوجتي، واسيني، ساعِديني... (يتعثَّرُ حول نفسه)، أين أنتِ، أليس؟ هل تخلَّيتِ عنِّي؟ أجيبي... ردِّي على صوت حبيبك. (صوتٌ قادمٌ من السَّقف يُنادي: جول... جول)، جول... إسمي... ولكن، ما اسمي أنا؟ إسمي جارلس... إنَّها نادَت جول! أليس، زوجتي العزيزة... أجيبي. إنَّ روحَك هنا... أتعرَّفُها... وأنتِ قطعتِ لي وَعداً بأنَّك لن تُحبِّي رجلاً آخرَ قط. (صوتُ ضَحِك) مَن ذا الذي يضحَك؟
بيسكرة: أليس... زوجتُك.
جيمارد: أقتُليني إذاً، لا أريدُ أن أعيشَ أكثرَ من هذا. الحياةُ تقزِّزُني كطعم المُخَلَّل. (يبصقُ على نفسه) لقد جفَّ ريقي، الماء، الماء، وإلاَّ سأعضُّك (عاصفةٌ في الخارج).
بيسكرة (تضعُ يدَها على فمها): ألآن ستموت أيُّها الفرنسيّ. دَوِّن أمنيتَك الأخيرة قبل الموت... أين دفتر ملاحظاتك؟
جيمارد (يُخرجُ دفترَ ملاحظاته وقلماً): ماذا عليَّ أن أكتب؟
بيسكرة: عندما يموتُ الرَّجل، فإنَّه يفكِّرُ في زوجته وأطفاله.
جيمارد: أليس، إنِّي ألعنُك، سُموم... إنِّي أموت.
بيسكرة: وقِّع على ما كتَبتَ وإلاَّ فإنَّ ماكتَبتَ ليس بنافذ المَفعول.
جيمارد: ماذا؟ أوقِّعُ على ماذا؟
بيسكرة: أكتُب لا إلهَ إلاَّ اللَّه.
جيمارد (يكتبُ ذلك): هاكِ ما كتَبت، هل لي أن أموتَ الآن؟
بيسكرة: لك أن تموتَ كجنديٍّ جبان خانَ شعبَه... وسوف تحظى بمراسيم دفنٍ رائعةٍ وسطَ بنات آوى وهي تحومُ حول جثَّتك. (تدقُّ على القيثارة ضرباتٍ هجوميَّةً) هل تسمع صوتَ الطَّبل؟ الكفَّار يتقدَّمون ومعهم الشَّمس والسُّموم؟ أخرجوا من الكمائن... (تدقُّ على القيثارة) الرَّصاصُ ينهمرُ من كلِّ صَوب... الفرنسيُّون لا يُفلِحون في تعبئة أسلحتهم. العربُ يُطلقون الرَّصاصَ بانتظام، الفرنسيُّون يَلوذون بالفرار.
جيمارد (ينهض): الفرنسيُّون لا يهربون.
بيسكرة (تُخرجُ نايا تعزفُ عليه صفيرَ الانسحاب): الفرنسيُّون ينسحبون عندما يُطلَقُ صفيرُ الانسحاب.
جيمارد: إنَّهم ينسحبون... إنَّه الانسحاب... وأنا هنا. (ينزعُ الرُّتبة العسكريَّة عن كتِفه) أنا مَيْت (يسقطُ أرضاً).
بيسكرة: أجل... إنَّك مَيْت... ولم تكُن تعرف بأنَّك مَيْت منذ زمنٍ بعيد (تذهبُ إلى المحراب وتأتي بجمجمة).
جيمارد: هل كنتُ حقّاً مَيْتاً؟ (يضعُ وجهَه بين يدَيه)
بيسكرة: منذ زمنٍ بعيد... بعيدٍ جدّاً. أُنظُر إلى نفسك في المرآة (تُريه الجمجمة).
جيمارد: آه، هذا أنا.
بيسكرة: ألا ترى وجنتَيك البارزتَين؟ ألا ترى كيف أكلتِ النُّسورُ عينَيك؟ ألا ترى موضِعَ الضِّرس المَخلوع في الفكِّ الأعلى؟ ألا ترى موضِعَ النُّقرة في ذقنك حيث كانت

لِحيتُك الجميلة التي اعتادت زوجتُك أليس مداعبَتَها؟ ألا ترى موضِعَ الأذُن التي اعتادَ ابنُك جورج أن يقبِّلَها عندما كنتَ تَحتسي قهوةَ الصَّباح؟ ألا ترى موضِعَ سكّين المقصلَة على العنق عندما نحرَ الجلاّدُ الخائنَ؟

(جيمارد الذي كان يسمعُ فَزِعاً مرتَعِباً يسقطُ مَيْتاً على الأرض)

بيسكرة: (تنهض بعدما كانت جاثيةً على الأرض، تجسُّ نَبْضَه، ثمَّ تبدأ بالغناء): سُموم... سُموم... (تُفتحُ الأبواب... السَّتائرُ تتخافَق... تضعُ بيسكرة يدَها على فمها وتسقطُ أرضاً)، يوسف!

ألمشهدُ الثَّالث

الشَّخصان السَّابقان، يخرجُ يوسف من النَّبع.

يوسف (يتفحَّصُ جيمارد، يبحثُ عن بيسكرة): بيسكرة! (يراها ثمَّ يرفعُها بين ذراعَيه): هل أنتِ حيَّة؟
بيسكرة: هل مات الفرنسيّ؟
يوسف: إن لم يكُن قد مات، فسيموتُ لا محال. سُموم... سُموم.
بيسكرة: إذاً، فإنّي سأحيا، ولكن أعطِني ماءً.
يوسف (يحملُها إلى الفتحة): هنا... الآن يوسف هو لك.
بيسكرة: وبيسكرة ستصبحُ أمّاً لابنك. يوسف أيُّها العظيمُ يوسف!
يوسف: بيسكرة أيَّتها القويَّة! أيَّتها الأقوى من السُّموم نفسها.

ألنِّهاية